
بنیاد محقق طباطبایی
نسخه عکسی ع/۱۲

الا یا ریم رفقا بصب هام فیکا

سقیم و دواه عندی فی رشفیکا

الا یا بدر سنا و یا یوسف حسنا

فلو باعک اهلوک بنفسی اشتریکا



بنیاد محقق طباطبایی

السيف الصنيع على رقاب منكري المبدع للامام الهمام القدوة
الاسوة نابغة العصر ويتيمة الدهر رب الفضائل وكعبتها التي تهوي
اليها الافئدة ناطورة الفقه عالم الكتاب والسنة فقيه الامة خريت
الادب وطائرها الصيت شيخ الاجازة ومركز الرواية الرحلة
المسند الثبت الثبت المصنف المؤلف المجيد المجيد
مفسر التفسير درة تيجان المحدثين ومعلم المجتهدين
حجة الاسلام والمسلمين آية الله العظمى بين الورى شيخنا و
استاذنا الشيخ محمد الرضا ابي المجد الاصفهاني النجفي لا زالت
رياض الفضل بوجوده متبهجة ضاحكة مستبشرة ثم
ان عليا الموقع اسمه في الكتاب والمخاطب بالتهنئة هو شيخنا
العلامة البحاثة المتتبع المتدرب ملحق الاحفاد بالاجداد
والواسطة بين الاكابر والاصاغر الشيخ علي بن محمد رضا بن
موسى بن فقيه الشيعة كاشف الغطاء عن مبهمات الشريعة
الغراء طاب ثراه وكان ممن مشا بيننا في الرواية

الراجي المستكين ابو المعالي شهاب الدين الحسيني الحسني المرعشي الرضوي الموسوي النقوي
المشتهر بالنجفي حرر بتهران ١٨ محرم الحرام
١٣٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد والصلوة ٥ فان الاديب ان كنت ممن رغب في تحصيل
فنونه ٥ واقتطف ثمار الفوائد من فنونه ٥ فلك برقيق الشعر جرح
الطباع ٥ وخاض بحور فلائمن فرائده الافواه والاسماع ٥ وجنى
من ازهار المنثوره ما ارزى شذاه بالخيرى والمنثور ٥ ووجه نحو علوم
كالمعاني والبيان ٥ والقوافي والاوزان ٥ فكر اذلل صعابها ٥
وفتح بحديد ابوابها ٥ ولكن كان لي لك الصبا في ابانه ٥ والشباب
في عنفوانه ٥ ولسلطان الصبا نزغات ٥ ولشيطانه نزغات ٥ ثم
نزعت منه قبل ان ينزع الدهر عن عطفي برد الشباب ٥ وميليس عارضي
قبطي الشياب ٥ فما قيل عني رغب فيه ٥ حتى قيل رغب عنه ٥ ولا
سما اليه ٥ حتى سئمته ٥ فحنثت على مقيدات القوافي بالاطلاق
وامهرت عرائس المعاني بالطلاق ٥ وجعلت طلاقها بتا وقطعا ٥
وقلت لا رجوع لي اليها قطعا ٥ او يعود اللبن الى الضرع ٥ ويرجع
الى المدمع الدمع ٥ وكنت كما قلت من ابيات بعثتها لبعض احبتي

تذكر

تركت نظم القوافي اليوم عن ملل ؞ وقد لعبت كما تدري بها زمنا
فلست انظم لا مدحا ولا غزلا ؞ اذ لم اجد محسنا طرفي ولا حسنا

على انه لم يكن مني سوى بويتات تضمنت مغازلة الغزلان ٥
ومفاكهة الاخوان ٥ او معاتبة الارحام والشكوى من الزمان
وما مدحت احدا قط ٥ سوى ما كان في جواب مدائح الاخوان فقط ٥
ثم عطفت عنان العزم نحو العلوم العقلية ٥ فحزت السبق في
ميادينها ولا سيما العلوم التعليمية ٥ فكم جنيت من رياض الرياضي
ثمارها اليانعة ٥ واوضحت دياجير المعضلات ببراهينها الساطعة ٥
وابت تخفى الغروف لا معرفة ادلة المسائل ٥ فكم رضتها
فما رضيت بقول القائل ٥ شعرا

اذا امتنعت اشجار المعالي ؞ جناها الغض فاقنع بالهشيم

ولم ازل انتقل من فن الى فن ٥ فاتقنه ولا ارى ترك الحسن الاجل
الاحسن ٥ ولا غرو فالنفس خضراء ٥ والشباب لا يخلو من السوداء ٥
الى ان استقر الراى ولله الحمد والمنة ٥ على خدمة الشريفين الكتاب
والسنة ٥ اذ كان ذلك هو الاحرى بحالي ٥ والاجدر بامثالي ٥ فتبعت

وما احسن قول فيه
وكنت عيني على الاعداء
فلا تكن انت يا عيني



انار ابائه الاقدمين في هداية المسترشدين ٭ بشرح معالم
الدين ٭ فاعدت المنهل الصافي للوارد ٭ واوضحت ادلة نجاة العباد ٭
وبرغبتي في العلمين الشريفين رغبت عما عداهما ٭ ولو عجاز هذه في
فيما سواهما ٭ الى ان يسر الله العزيز في الشهر المبارك من سنة ١٣٢٢
لنور حدقة الكمال ٭ ونور حديقة الفضل والافضال المقتفي
في جده واباءه السلف من اجداده واباءه الفاضل الكامل العالم
الشيخ كاظم ٭ وذلك بعد ما كاد ان يتخلى من الشباب عنيا طله ٭ و
عرى افراس الصبا ورواحله ٭ وقد لاح من صباح المشيب تباشيره ٭
وتفتحت من صوح روض ازاهيره ٭ وقد دبج نودي قبل اوانه
بدايع الايام لمعاني يعجز عنها البيان ٭ وقد اقل القلب من صروفه
ما اقله ٭ وبرما بين ود الشعر حتى اقله ٭ ولكن لما كان الفواد ٭ قد
خص بخالص الوداد ٭ فلا زال يشفق عليه شفقة الوالد ٭ ويحن
اليه حنين ام الواحد ٭ اورث مسرتي بعمرته زند الفكر بعد
صلوده ٭ واضرم فرحي بفرحته جمر القريحة بعد خموده ٭ فصنع اوراق البنان
الحي ولجبهم لدى ٭ كلمته المعروفة ٭ وهنى بها امام الملة الحنيفية ٭
وشيخ الطائفة الجعفرية ٭ الشيخ الامام الاعظم علي بن محمد الرضا ٭

ال كاشف الغطاء لا زالت بيوت عن متصلة الاسباب ثابتة
الاوتاد ٭ مصونة من العيوب على ما فيها للدخيل من السناد ٭ لا بنت
فكر اذا خرجت في زينتها تبرج ٭ وان لها ان تزوج ٭ فلا تختار
من غير قومها بعلا ٭ ولا ترى غير اهلها اهلا ٭ كيف وهي شعرا

من معشر اما كريمتهم لهم ٭ او موت عانسة لها تمتاح

ولا ترغب في مهر او صداق ٭ سوى الاهلية والاستحقاق ٭
ولما جليت تلك الخريدة ٭ بمحضر من علما البلدة وفضلائها و
تليت تلك القصيدة ٭ في مجمع ادبائها وشعرائها ٭ امالت باعطاف فهم
نشوة الطرب ٭ وحلت في افواههم كانها ضرب ٭ من الضرب ٭
ولما تلك الاملوحة كشفت القناع ٭ فوقع على حسنها الاجماع ٭
اولطيمة فتقت بالعراق ٭ فعم شذاها سائر الافاق ٭ فسارت
كالشهب بل كحجد اهليها ٭ واعترف بحسنها حاضرها وباديها ٭
وكانت تلك الايام للادب ميادين السباق ٭ جرت في حلباتها
انكار الادبا وقالت هنا تعرف الجرد العتاق ٭ ولكنها فاقت على

ضرابها تفوق الحق على الباطل وتقدمت تقدم الرأس على
الكاهل وكانت كما قال القائل   متقارب

اذا جاء موسى والقى العصا   فقد بطل السحر والساحر

فتاخر في تلك الميادين من في غيرها تقدم وسبق قائلها غيره
صلى لها وسلم وما كان ذلك لان قريحته كانت اورى من قرائحهم
زنداً او لان صارم فكره كان ارهف حداً وقد علم القوم ان
ناظمها ادام الله مجده كان من اقلهم للشعر تعاطيا واكثرهم
عنه تجافيا بل لانه ترك المسالك الوعرة واتبع من شرائعها
السمحة السهلة فعطلها عن عجرفة الاعراب ومعضلات الاعراب
والبسها وشي الحضارة ونضى عنها اسمال ابراد البداوة ولسكن
محسنات البديع في رفيع ابياتها ولم يدع للوهن طريقا الى
محكمات اياتها وغيره لما حاد عن الطريقة حرم توفيقه ثم اتفق
لي الاجتماع معهم في مجالس ارشدتهم فيها الى ما بينه العلماء من واضح
الحجة والسنة ومن بهاء الفصنة وفرقت لهم بين شعر الخواص
والعوام وبين ما يقتضيه هذا العصر وما اقتضاه قبل ذلك

بالف عام

بالف عام ونصبت الخلعة دستورا يرجعون اليها واساسا
يبنون عليها ولعمر الفضل لا اقول ذلك ترويجا للبضاعة بل
اقوله خشية على الصناعة من الاضاعة وضنا بالجواهر بان تنظم
في هذا السلك وشفقة على سبائكم من ان تصاغ على غير هذا السبك
وبعد ما كثر الحجاج وطال اللجاج تبين لهم واضح المحجة
بقائم الحجة فعدلوا عن الطريقة الجاهلية الاولى وعلموا ان الشريعة
الاسلامية احق بالاتباع واولى فنظموا في ذلك العرس الميمون وغيره
الشعر الاخذ بمجامع القلوب الاخذ بطرفي الحسن اللفظ الحسن
المعنى المطلوب ومن الظريف انه قرئ هناك لبعض شعراء العصر
قصيدة على الطريقة التي اقامتها الطريقة لو داعية على ثنيات الوعول
وامر نسيم العلم الشامخ من نبتها بالاقلاع فضحك الحاضرون من
بكائه طللا ودمنا وما اتت انفسهم للاطلاع على صفات اسما
وسلمى ولعمري لقد كانت قصيدة جيدة لو نظمت قبل هذا
بالف من السنين ومدح بها اعرابي ذو عنجهية من ساكني
الدهناء او يبرين واما ساكنو ارياف العراق فان طباعهم

سمت

الرقاق ٭ لا تتحمل امثال تلك الجبال الراسية ٭ ولا يألفون ما تألفه
اهل البادية ٭ فادرك ذلك برأيه السديد ٭ فجرى بعد كلماته تلك
الكبوة في المسلك الجديد ٭ حتى نظم بعدها بايام قلائل ٭ مثل قوله
لله دره من قائله ٭

مخلع البسيط

٭ مر بعيني فقلت هذا ٭ احلى من الظبي الف مرة ٭

ولم يزل يجري بعده في هذا المضمار حتى مدح كاتب الحروف
بقصائد بديعية ما لحقه عثار ٭ ولما اتفقت على ذلك الاراء
على شتاتها ٭ واجتمعت عليه من الاهواء مختلفاتها ٭ كتبت بذلك
الى عماد الفضل وعميده ٭ ورضي العلم ومفيده ٭ اخي الهادي بن
العباس بن علي آل كاشف الغطاء ٭ فورد منه كتاب الجواب ٭ قد
محض فيه الرغوة عن اللبن الصريح ٭ وابان فيه الحق بالتلويح ٭ و
التصريح ٭ ومع ذلك زعم بعض المغفلين انه يذهب الى غير
هذا المذهب ٭ ويرغب الى ما عنه ارغب ٭ وما درى المسكين
انا بعد هذا الائتلاف ٭ لم نعرف الاختلاف ٭ وبعد عقد
الاخاء ٭ الذي وجب علينا الوفاء ٭ لم نخل عراه باختلاف الاراء ٭

وتشتت

وتشتت الاهواء ٭ وابن وحق الوداد والالفة ٭ وقديم المحبة والصحبة ٭
لو رام قلبي مخالفته في امر لم يكن له بين ضلوعي موطنا ٭ وقلت له اتخذ
سوى صدري مسكنا ٭ وظن قوم بي التحامل على المتقدمين ٭ والعصبية
للمتاخرين ٭ والغلو في الاعتقاد بعلم البديع ٭ وانتصاري في محاسن
الشعر على امثال الترصيع والتصريع ٭ فلزمني شرح ذلك الكتاب
الكريم ليعرف الفطن اللبيب ٭ ان الكتاب لا ريب فيه ٭ واقيم بذلك
قاضي الانصاف عدل البينة ٭ على ان ما ظنوه فرية بينة ٭ واكشف
عما اعتقد بواضح البيان ٭ واقيم عليه ساطع البرهان ٭ لتتبين للمسترشدين
المحجة ٭ وتقوم على اهل العود المتعجرفين الحجة ٭ وظني ان رسالتي هذه
لا يطلع عليها احد ممن سلمت سليقته من الاعوجاج ٭ وخلصت
شيمته من اللجاج ٭ وكان من ذوي الطباع الرقيقة ٭ والافهام
الدقيقة ٭ الا يتقبلها القبول الحسن ٭ ومهر خرائد ابكارها باغلا
ثمن ٭ واما المتردي من الجهل ٭ المعدم من بضاعة الفضل ٭ فاني
اعلم انه تسوءه هذه المقالة ٭ ويطلق لسانه فيما لا ينبغي الا لاهل الجهالة ٭
فان فيها كساد سلعته ٭ وفساد حرفته ٭ وسواء عندي انكاره واعترافه ٭

١

ولا يسرني وناقتي كما لا يسوءني خلافه　　شعر طويل

اذا رضيت عني كرام عشيرتي ⁂ فلا زال غضبانا علي لئامها

واني اختصر القول في ذلك اذ كل طويل مملول ۰ وافصل تلك اللآلي
في ضمن عدة فصول واقول

فصل

الصانع الحكيم
جلت آلاؤه لما خلق الانسان وبراه ۰ جعل طبعه مجبولا على ان يتطلب
سبب كل موجود يراه ۰ فلا يزال يتنقل في مراتب الاسباب حتى ينتهي
الى مسببها فيعرف بذلك رب الارباب ۰ وهذا من اشرف منن على
الانسان واخص ما ميز به من بين اصناف الحيوان ۰ ولما كان الحسن الذي
هو من اشرف الموجودات امرا موجودا ۰ وعلى خفاء حقيقته ظاهرا
مشهودا ۰ وجب على الانسان بمقتضى جبلته وبديع فطرته ان يتطلب
سببه ۰ ويتفحص عما اوجبه فيستفيد من ذلك بعد العلم الذي
هو اشرف المقاصد ۰ واعظم الفوائد ۰ فوائد جليلة كسهولة الطلب
والتعبير متى احتاج اليه ۰ والتمكن من الاحتجاج على من خاصمه في ذلك
وان يعرف من كل حسن مرتبته ۰ ويبين له في ذلك منزلته ۰ ولنوضح
ذلك بمثال ۰ وهو ان الانسان متى نظر الى شجرتين ۰ وادرك في

احداهما

احداهما صفة توجب ارتياح النفس وتلذذ العين ۰ ولم يجد مثلها
في الاخرى تطلب بحسب فطرته سبب ذلك حتى توقفه المقايسة والاعتبار
ونحوهما على ان الاولى صارت حسنة لكونها مورقة خضراء ۰ ولم يحسن
الاخرى لكونها يابسة جرداء ۰ وكذلك ان نظر الى شجرة معتدلة مفتحة
الازهار ۰ متدلية الاثمار ۰ وقاسها الى اضدادها صح له الحكم
بان محسنات الاشجار امور منها الاعتدال وتفتح الازهار ۰ و
اخضرار الاوراق ۰ وتدلي الثمار ۰ ونحو ذلك فيرتفع بذلك درجته
عن خطة العوام ويسهل له الطريق الى معرفة الملك العلام ۰ فيكتفي
بالعلم عن الوجدان ۰ وغيره ان كان ذا طبع سليم لا يعلم حتى يرى
بالعيان ۰ وبينهما من الفرق البين ما لا يحتاج الى البيان ۰ والحسن
وان كان كما حققه العلماء العارفون ۰ امرا واحدا في جميع الاشياء
وشمسا واحدة استضاءت بنورها الارض والسماء فتعددت بتعدد
المرايا المجليات ۰ واختلفت مراتب قبول الاشياء لها لما اختلفت
قابلياتها ۰ فاختلفت لذلك القابلية صفاته ۰ وتكثرت اسمائه
وسماته ۰ فان كان في الوجه سمي بالصباحة ۰ او في البيان دعي
بالفصاحة ۰ فان له في كل مظهر من تلك المظاهر نواميس كلية ۰

وقواعد علميه ٥ قد اعتنى العلماء بضبطها ٥ وافردو المحسنات كل شئ
فنا براسه فدونوا علم الاخلاق لمحاسن الصفات الملكات ٥ ولمحاسن
الاصوات علم الموسيقى والايقاعات ٥ وكذلك اعتنى العلماء من القرن
الثالث الى هذا الزمان ٥ بضبط محسنات الكلام فافردوا ما عثروا
عليه من ذلك فى علم سموه بالبديع فكل ما يورث فى الكلام حسنا فهو
من مسائل هذا العلم فيدخل فيه اكثر مباحث علم البيان وكثير من مباحث
علم المعانى كالايجاز والمساوات ٥ والاطناب المسمى عندهم بالبسط
والتشبيه والاستعارة والكنايه ومنها كثير من شواهد الادب فلو ان
كانت تلك المسائل من غير هذه الجهة من مسائل ذينك العلمين وانت اذا
فليت العلمين خبرا وقلبتهما باطنا وظهرا علمت ان ليس فيهما خيرة
ولا فى عصاهما سيرة الا من جهة تحسين الكلام فجعل علوم الفصاحة علما
واحدا او تسمية الجميع باسم واحد كما صنعه بعضهم لا يخلو عن وجه ولكن
الامر فى التسمية والاصطلاح سهل ولا عليك فى اتباعهم ان عرفت ان
الغرض الاصلى من العلمين معا هو معرفة محسنات الكلام لامتياز كلام
الملك العلام ٥ عن كلام سائر الانام وكلام الفصحاء عن كلام العوام ٥
الا بما فيه من النكات والمحسنات والافعول السوقة والطل من الباد بغان

بدرهمين

بدرهمين كلام على مقتضى الحال فى قوله للمماكس والله لا اعطى باربعة
دراهم اكثر من رطلين اخراج على مقتضى الظاهر الى غير ذلك نعم على
علماء المعانى ان يتبينوا احكام الاطناب والمساوات وعلى علماء
البيان ان ينبهوا على اقسام الاستعارات والتشبيهات وعلى عالم
البديع ان ياخذ محاسن الجميع ويجعلها من المحسنات ففى عدهم
مطلق التشبيه والاستعارة مثلا من البديع مسامحة ظاهرة فهذا
اعزك الله سبيل البديع وما عرفناك نمو تره والباعث على اختراعه و
تدوينه فعليك معرفة تفصيله اذ عرفتك اجماله فانى اشفقت عليك
من الملالة فتركت الاطالة وبذلك تعرف عظم مقدار هذا العلم و
يهون عندك شغب الجاهلين به ولا يهولك امرهم واذا القوم لم ياتوا
بحجة نظرية يلزمنا الجواب عنها بل كلامهم كلام سائر الجاهلين فى
الطعن على سائر العلوم فالجواب عنه الجواب بعينه وقد ذكرت شطرا
من ذلك فى شرح ارجوزة العروض ونحن مع ذلك نجرى معهم فى
حلبة المناظرة ونستعمل الانصاف لا المكابرة وننفع عنهم بتصور
الدعوى عن الدليل ولا نخليهم من الاستدلال العليل التقيل ومن الله

الهداية الى قصد السبيل فنقول قد عرفت ان الحسن في الكلام

موجود وكل موجود فلا بدّ له من سبب وتلك الاسباب قد جمع منها

ماوصلت اليه الافكار ودوّن في علم علم البديع فالخصم ان انكر

الحسن في الكلام فهو مباهت سوفسطائي والجواب عنه جواب عن سائر

فرق السوفسطائية على انه لا ينبغي له التعصب لعمود الشعر والتحامل

على نفائثه السحر لان وجود الحسن كان مسلما بين الفريقين وكان

النزاع في المحسنات الكائنة في البين وهذا قد خرج عن موضع الخصام

واستراح من حيث الكرام وان اعترف بوجود الحسن فيه وانكر

اسبابه فالجواب عنه هو الجواب عن القائلين بالصدفة والاتفاق

وان اعترف بالامرين معًا ولكن انكر الحسن في جميع الشعر الذي فيه

جميع انواع البديع وانكر النكات البديعية على طريق السلب الكلي

فقد جنى على نفسه واصحابه هذا الجاهل واسقط حتى شعر

الاوائل اذ اكثر النكات البديعية متخرجة من اشعارهم واكثر المتحز

من اشعارهم هو المشتمل على الاستعارات والتشبيهات وارسال المثل

وغيرها مما هو من اجل مسائل هذا العلم بل منها ما هو اكثر استعمالًا

نسمع

فتمايد وخنجر خدك وبنانها

وبا سميها المخضب وخضابها نبانها

ويصحف الحسن النقي وخالها

كتب العذار بخطه اياتها

ذ تقامه كالغصن الا انني

لم اجن غير الصد من ثمراتها

او غزلان غصون بان زرنها

اعطافها بالقطع من باناتها

واما علم البيان انكره بعض علم البديع

لا يحتاج البيان ان موضوعه

والجمع نكات بديعية اوا ربع

فتلك نكات بعيدة من اثره في جنبته

فعلم تكون بديعيات اكثر المبادئ

وعلما امر انقلاقه للبديع وجهه اخرى

والله اعلم





عندهم من المتاخرين كالتفريع وغيره وان اعترف بالحسن فيها ولكن

صادم العيان وخالف الوجدان وكابر وادعى ان الحسن فيها ليس

لما يقوله اهل العلم من استناده الى تلك النكات بل يجعله مستندًا

الى امر خفي لا يعلمه سوى عالم السر والخفيات فنحن نعرض عليه ابياتًا من

الشعر الذي يعرف به اصحابه بجيده ونجرده عن تلك المحسنات ليرى

كيف يتضعضع من البيت بنيانه ويهدم من حسنه اركانه ونقتصر

على شيء من شعر ابي عبادة لانه عميد اهل العمود ومن يفتخر عندهم بالآباء

والجدود وشعره يسمى عندهم بسلاسل الذهب وهو اقرب الشعراء

الاسلاميين بزعمهم الى طريقة العرب فنعرض عليه مثل قوله شعرًا

كالقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار

ونقول مدعي اهل العلم ان من اعظم جهات الحسن في البيت هو مراعاة

النظير بل وائتلاف اللفظ مع اللفظ على الحد تفسير بين التشبيهات

المذكورة وايغال التشبيه في قوله مبرية فان زعم ان الحسن لغير ذلك

فليغير التشبيه القسي الى العراجين والاهلة ونحوهما مما هو متحد مع

القسي في جهة التشبيه وليحذف قوله مبرية او يبدله الى ما يكون ايغالًا.

ليرى صحة ما ادعيناه من سقوط حسن البيت باسقاط تلك النكات
او نقصانه عند ما ينقص منها وقد ما محناه في اقتصارنا على النكات
المتقدمة وكان من حقنا علينا ان نحذف التشبيهات كلها لان التشبيه
بنفسه من اعظم نكات البديع ومثل قوله شعرا

طويل

اذا ما الحى اللاحي فلج بي الهوى ٭ اصاخ الى الواشي فلج به الهجر ٭

ونقول ان معظم حسنه مستند الى المزاوجة فليغيرها ان امكنه
الحاسد الليث فيه ومثل قوله يصف ذئبا رماه فقتله شعرا

طويل

فاتبعتها اخرى فاضللت نصلها ٭ بحيث يكون اللب والرعب والحقد

فانا ندعى ان الحسن فيه للارداف في الشطر الاخير على انه قصر فيه
عن قول القائل شعرا كامل

الضاربين بكل ابيض مخذم ٭ والطاعنين مجامع الأضغان ٭

لان الاضغان لما كانت هي الباعثة غالبا على اثارة الحروب والداعية
الى الطعن فناسب الارداف والكناية عن القلب بمجامع الاضغان و
هذا بخلاف قول البحتري في ذكره موضع اللب بل الرعب ايضا ولو كان
قائل هذا البيت مقدما عصره على عصر البحتري فلا شك انه قد اخذ منه

معنى البيت

معنى البيت وافسده ثم ان اثبات اللب للذئب لعله مما لا يرضى
به اولوا الالباب وقبحه لا يخفى على صبيان الكتاب ولا مناص لحملة
عرش الادبا للتكلف ودعوى ان المراد اللب ولو لغير الذئب و
هذا العذر اقبح من الذنب والامثلة على ذلك كثيرة لا نقف عند
حد وغاية وفيما ذكرناه منها مقنع وكفاية ولا يصعب عليك ان تزيد
عليها اضعافها بعد التدرب في الصنعة والاطلاع على ما يعترف
العموديون بحسنه بل عليهم ان يحتفوا بكل بيت حسن من جاهلي
او اسلامي وعليك ان تستخرج مواضع الاحسان منه حتى لا يجد احدهم لجحدهم
من الاعتراف بما ادعيناه مفرا ويعود بعد الانكار مذعنا مقرا
وان سلم جميع ذلك ونازعنا في بعض نكات خاصة وقال انها
غير محسنة فهو حق في الجملة ومتى سمح حسنا الاعيان بجميع ما بين دفتي
كتاب النقد والحكم بان كل ما فيه لا يحتاج الى النقد وبيان عقيد
نا في ذلك يحتاج الى الاطناب وهو خروج عن موضع الكتاب
والجملة ان القوم ادخلوا في مسائل الفن ما هو خارج عن موضوعه
وذكروا في المحسنات امورا ليست منها ووقع لهم الاشتباه في عدة

من النكات فمن امثلة الاول حسن التهذيب في الابتداء والاختتام ونحو ذلك مما هو من اداب الشاعر والناثر والجميع توصية للمتكلم بتهذيب شعره ومبالغته في تحسين الابتداء والاختتام بازيد مما يفعله في غيرهما وهذا خارج عن موضع البديع اذ مسائله ما يتمكن المتكلم بمراعاته من العمل بالوصية المذكورة ومن امثلته ما ذكروه من الامور التي تدل على قدرة الشاعر وتمكنه مما يعجز عنه كثير من الشعراء من غير ان يورث الكلام حسنا كالحذف والترقيط ونحوهما فان خلو الكلام من احد الحروف او من جميع الحروف المعجمة او حرف منه معجما والاخر مهملا او اتصال جميع حروفه في الكتابة او انفصال الجميع فيها مما لا يورث الكلام حسنا قطعا ومن امثلته المواردة اذ من المعلوم ان البيت الغير الحسن لا يصير حسنا بمجرد التوارد وغير الجيد لا ينقلب حقيقته ولو نظمه الف شاعر وهذا مما لا يخفى على المتامل والذي اراه ان اصل ذلك من حيل السراق للشعر فانهم لما كثر وامن السرقات القبيحة وخافوا على انفسهم من الفضيحة اتخذ واذلك جنة لهم عن سهام الملام وتبعهم اهل البديع غفلة عما لهم من قبيح المرام وكان فحول الشعراء يتعذرون

عن ذلك بقولهم الشعر جادة وربما وقع حافر على حافر كما اعتذر به ابو الطيب وكان العلماء يعتذرون لهم بذلك كما قال ابو عمرو بن العلاء عقول رجال توافت على السنتها الخ نعم لو ثبت صدق مدعيه من عدم الاطلاع لكان دالا على حسن قريحته لو كانت المواردة مع احد من اعاظم الشعراء كما قال ابن مياده بعد تواردة مع الحطيئة الان علمت اني شاعر وذلك امر خارج عن موضع البديع على ان ذا النظر الثاقب في قواعد الصناعة لا يغيره ذلك في الحكم بحسن القريحة ولو توارد مع اعظم الفحول على بيت ردي ويذعن له بصدق بيت جيد منه وان لم ينظم ذلك احد قبله فلو توارد احد مع امرئ القيس على قوله شعرا

وافر

عصافير وذبان ودود | واجرى من ملجمة الذئاب

او مع ابو نواس على قوله شعرا

مجزوء

يا قومنا ما للمدينه | لا تاكل العصبان شوبه

وغير ذلك لم نحكم الا بقدرته على اقامة الوزن بل حكمنا عليه بسوء القريحة ولو نظم ما يقرب من محاسن ابيات زهير وسيفيات ابي الطيب لحكمنا بكونه من اعلى الشعراء طبقة حكمنا به لو توارد معهما

على القصيدة بعينها ومن امثلة الابداع والتفضيل اذ لا فائدة في
ان يودع الشاعر شطراً من شعر غيره او شعره في قصيدة اخرى ومن المستحيل
ان لا يكون الشطر في البيت حسناً ولكن ينقلب الى الحسن بمجرد نقله الى
قصيدة اخرى الا اذا اجتمعت فيه الشروط التي ليس هنا محل ذكرها فانه
ح من اجل نكات البديع ومن امثلة القسم الاخير المغايرة فان القوم
اذكروا الحسن في موارد فيها المغايرة فزعموا ان الحسن هي المغايرة وغفلوا
عن ان قول القائل اني اكره الخير واحب الشر واصبوا الى العجوز العمياء
لا الى الشابة النجلاء ونحو ذلك لم يكن في الكلام حسناً ولا فائدة
الا العلم بجنون المتكلم ولو كانت المغايرة من محسنات الكلام لكان
جميع كلمات المجانين التي بها يمتازون عن العقلاء من مسائل البديع
لاشتمالها على المغايرة وغفلوا عن ان الحسن في تلك الموارد كلها الحسن
التعليل وان تعليل امر مخالف للعقل احسن والطف في الذوق من
اثبات امر موافق وان احسن في تعليله بامر اخر غير علته الاصلية فقول
القائل لا احب الحبيب واحب الرقيب قبيح جداً لا يكاد يحسن
الا بتعليل الاول بفرط الغيرة والثاني لانه كما يحفظه عنه يحفظه عن غيره

ولهذا

كامل

ولهذا نجد الحسن في ابيات ديك الجن وفي قول القائل شعراً

لوددت اني قتلتها لفرط محبتي ؛ حتى تكون خصيمتي في المحشر
ونكون اول عاشقين تخاصما ؛ يوم القيامة عند رب اكبر
واقول طول في الحساب وقوفنا ؛ حتى يطول الى المليحة منظري

كطويل

والمقصود اثبات حسن هذه الابيات من حيث المغايرة وان كانت ردية
السبك وبهذا السلك لا نجد حسناً في قول كثير شعراً

الا ليتنا يا عز من غير ريبة ؛ بعيران نرعى في الخلاء ونعزب
كلانا به عر فمن يرنا يقل ؛ على حسنها جرباء تعدي واجرب
اذا ما وردنا منهلا صاح اهله ؛ علينا فما ننفك نرمى ونضرب
وددت وبيت الله انك بكرة ؛ هجان واني مصعب ثم نهرب
نكون بعيري ذي غنى فيضيعنا ؛ فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

ومنها التورية فان القوم قد عرفوا البديع بتعريف التورية
العرفية فقالوا انها ذكر اللفظ الذي له معنيان قريب وبعيد
وارادة البعيد لتوهم السامع ارادة القريب فسا بينهما وبين
الايهام والتخيير وكلا الامرين ليس على ما ينبغي وبيان ذلك و
ان ادى الى الاطالة ولكنه نفيس لا بد لنا ان نتحف به قراء هذه

الى اللّه ولنقدم تحرير الباب بما هو الاقرب عندى الى الصواب فنقول ان اللفظ الذى له معنيان اعم من كونهما حقيقيين او مجازيين او مختلفين اما ان يكونا معا مرادين من اللفظ او يكون المراد احدهما المعين او احدهما لا بعينه اما الاول فقد يكون المعنى لا يتم الا بهما معا كقولى

مديد

وفتى البر يحسبه ❊ فى حجاه والندى هرما

وكقول القائل شعرا

وافر

ومالى نحو ارضهم وصول ❊ فقد سكنوا وصلينوا بالعوالى

وقوله شعرا

كامل

اى المكان تروم ثم الذى ❊ تر تاده فاجبته المعشوقا

والمعشوق قصر بسامرا بناه المتوكل والاخير من شواهد نكتة اخترعها بعض المتاخرين وسماها براعة الجواب وقد يتم المعنى باحدهما و لكن يقترن الكلام بقرينتين كل منهما يقرب من المعنيين غير ما تقرب الاخرى كقول ابن نباتة شعرا

مجتث

ومولع بفخاخ ❊ يمدها وشباك ❊
قالت لى العين ماذا ❊ يصيد قلت كراك ❊

وكقولى شعرا

كتبت اليه الخط مستقربا له ❊ فانعم فيه وهو اكرم من قرى

ان كان الظاهر من لفظ مستقربا كونه من القرى والا فهو من الاقسام الاتية وقد لا يقرن بما يقرب شيئا منهما وتسمى التورية المجردة وقد يقرن بما يقرب احدهما وتسمى الموشحة وهذا القسم بانواعه هى التورية البديعية عندى فهى استعمال اللفظ فى معنييه او اكثر بلا تاويل على المختار عندنا من جواز استعمال اللفظ فى اكثر من معنى واحد وقد حققنا ذلك فى فن اصول الفقه او مع التاويل بالمسمى ونحوه من التكلفات الباردة التى ذكرها الاصوليون واما الثانى وهو استعمال اللفظ فى احد معنييه فان كان المعنيان مختلفين فى الظهور واراد غير الظاهر سواء لم ينصب قرينة اصلا او نصبها على القريب خاصة وتسمى المحتملة فهو التورية العرفية وتسميها العرب بالمعاريض والملاحن كقول القائل ما رايت زيدا ولا كلمته مريدا بخلاف المعنى الظاهر منه وهو ما جرحته وما ضربت رئته والتورية بهذا المعنى هى التى تبحث عن لزومها الفقها عند الاضطرار الى الكذب واياها تعنى العرب بقولها فى المعاريض مندوحة

عن الأكاذيب وفي التعريف الذي ذكره القوم للتورية البديعية تعريف
للتورية بهذا المعنى الذي جعلوه نكتة اخرى سموها المواربة مع الخائن
ما ليس من جنسها بها كالمواربة بالتصحيف ونحوه فراجع وبالجملة
فالتوريتان تختلفان حقيقة اختلافا لا يمكن الجمع بينهما بتعريف
واحد وتعريفهم التورية منطبق على العرفية لا البديعية اذ المأخوذ
في تعريفهم امران كلاهما مفقود في التورية البديعية احدهما لزوم
اختلاف المعنيين في الظهور والخفاء وهذا ليس شرطا في البديعية
قطعا باستشهاد كثير من الشواهد التي ذكروها لها كما لا يخفى على المتتبع
وسيرى بعد التتبع من تكلفاتهم في جعل احد المعنيين قريبا
والآخر بعيدا ما يقضى منه العجب ومع ذلك قد ينسد عليهم باب التكلف
فلا يجدون غير عدم التعرض ملاذا فيجعلون ترك البحث عن ذلك معقلا
ومعاذا ثانيهما ارادة المعنى البعيد خاصة ليقع السامع في خلاف ما يقع
فيرتب عليه غرضه من اخفاء الامر مع التخلص عن قبح الكذب ولهذا امتنع
فيها نصب القرينة على المعنى البعيد لكونه نقضا للغرض الا ان تكون
القرينة ضعيفة غير قابلة لصرف اللفظ عن ظاهره وهذا بخلاف التورية

البديعية

البديعية فان غرض الموري يتعلق بافهام المعنيين ولهذا لا يزال
يكررها على السامع حتى يفهمهما او يصرح باني اردت المعنيين ولا
يتعلق له غرض باخفاء المراد بل يتعلق غرضه بافهامهما معا فان فيها
اظهار لصنعته وشهادة على مهارته في حرفته ولهذا قد يقرن بما
يقرب كلا المعنيين كقول ابن نباتة المتقدم وكقول الآخر شعرا

لقد كنت ريحاني ووجهك جنتي ❊ وكنا وكانت للزمان مواهب
تعارضني في ورد خدك عارض ❊ وزاحمني في ورد ثغرك شارب

الى غير ذلك من الشواهد التي لا تحصى ولكن القوم لما راوا منافاة
ذلك لما اختاروه من التعريف اسقطوا ذلك من اقسام التورية فاقتصر
المتقدمون على قسمين المجردة وقد عرفتها والمرشحة وهي ما اقترنت بما
يقرب المعنى القريب وزاد المتأخرون قسما ثالثا وهي ما اقترن بما
يقرب البعيد وسموه المبينة وسكتوا عما لو اقترنت بما يقربهما معا ولعمري
ما سكتوا عنها مع كثرة امثلتها الا لهذه النكتة على ان في القسم الثالث
كفاية للرد عليهم والمبينة مبينة لفساد دعواهم لانهم قد اخذوا
كما سمعت في تعريفها قصد توهم السامع ارادة القريب فكيف نصب قرينة

لطيفة

على خلاف مقصوده فتأمل ونقل في أنوار الربيع عن بعض علماء الفن
أنه قال إذا أتيت في التورية بلازم كل من المعنيين مكافئًا ولم تترجّح
أحدهما على الآخر فكأنك لم تذكر شيئًا من اللازمين وصار المعنى
القريب والبعيد في درجة واحدة فيلحق بالمجردة كقول ابن الوردي

شعر

قالت إذا كنت تهوى ⁂ وصلي وتخشى نفوري
صف ورد خدي وإلا ⁂ أجور ناديت جوري

فقوله ورد خدي يلائم أن يراد بقوله جوري اسم نوع من الورد
وهو المعنى البعيد المقصود وقوله وإلا أجور يلائم أن يراد به فعل الأمر
وهو المعنى القريب انتهى ما نقله عن بعض علماء الفن ولعمري إن مثله
لو صدر من جهال الفن لكان عجيبًا إذ كون المعنيين في درجة واحدة
من الظهور وكون أحدهما مع ذلك قريبًا والآخر بعيدًا تناقض صريح
إلا أن يتكلف ويقال إن مراده اختلافهما من حيث أنفسهما مع قطع النظر
عن مساق الكلام والمراد بكونهما في درجة واحدة مع ملاحظة مساقهما
وفيه مع بعده ومخالفته لمراد أهل البديع من القريب والبعيد أن اللفظ



كثيرًا ما يكون مشتركًا دلالته على معنيين تكون على سبيل التواطي فلا
سبيل حينئذ إلى هذا التكلف على أنا لا نعرف كيف صح له الحكم بكون
المراد من لفظ جوري في بيت ابن الوردي الورد بعد تسليم ادعائه أن
المعنيين في مرتبة واحدة ومع ذلك فلا سبيل إلى معرفة ذلك من الكلام
ولكن دعوى أنه لا بد أن يكون قد قصد ذلك فرارًا عن جور محبوبته
بأولى من دعوى أنه غيرة على خدها واستنكافًا من تشبيهه بما هو دونه
أو لأنه لا يرى في الموجودات ما يشبهه في حسنه ولطافته اختار الجور منها
على تكلف التشبيه وهل هذا إلا تحكم لا يرضى به الفطن اللبيب وهذا على
علاته بمعزل عن جواب الإشكال إذ لم يزد قائله على أن بيّن أن هذا القسم
ملحق بالمجردة وهذا غير ما نبتغيه ولو قيل إن هذا القسم ليس من التورية
بل هو استخدام على رأي صاحب المصباح قلنا أولًا إن كلامنا مع
المشهور الذين لم يرتضوا تفسير الاستخدام بما ذكروه وثانيًا أنه لا يسمى
ذلك استخدامًا إلا إذا كان المعنيان كلاهما حقيقيين كما صرح به
الشيخ صفي الدين وفي كثير من الأمثلة ما ليس كذلك وفذلكة المقام أن
التورية البديعية مبناها على إرادة المعنيين والتورية العرفية على إرادة المعنى

البعيد وايضا قد تكون الثانية بغير اللفظ المشترك كقولك لمن
يسئل عن زيد ليس ههنا مريدا به انه ليس في موضع وتوقفك لا في البيت

واما الثاني وهو استعمال اللفظ في احد المعنيين فان لم يقرن الكلام
بما يعين احدهما فهو الابهام وينبغي ان يكون هذا مراد الزمخشري
من قوله ولا ترى بابا في البيان ادق ولا الطف من هذا الباب ولا
انفع ولا اعون على تعاطي المتشابهات من كلام الله سبحانه وكلام
نبيه اخو كلامه وانما حمل كلامه على التورية البعيد بعيد كما ذكروه فلا يخ
عن بعد اذ هي على فرض وقوعها في الكتاب والسنة ففي غاية القلة
باعترافهم فلا يناسبها هذا الكلام فتامل وان اقترن منه بما يناسب المعنى
الاخر وان لم يمكن ارادته ابهام التورية كقول الصفي

خفيف

وافديه بعيني وهو ساقي ❊ وكقول الاخر
حين لا مسعد على الوجد الا ❊ عين حر تجود او ساق حر

واما القسم الثالث فلا يحضرني الان شاهد عليه ولعل منه لبعض
شواهد الاتساع فليلاحظ ويسهل تمثيله بقول القائل حيني
بزيد لو فرض ان زيدا علم لرجلين يحصل الغرض بكل منهما وليتيم

التخيير

التخيير هذا ما رايناه وليس المقصود المناقشة في الاصطلاح كي يقال انه
لا مشاحة فيه بل الغرض تحقيق المقام ودفع ما وقع فيه الاوهام والناظر
في امر الاصطلاح بالخيار ثم انه كثيرا ما يتسامح في ارادة المعنيين حتى
انه يكتفي بامكان ارادة المعنيين بالارادة الاستعمالية في احدهما وان لم يكن
المقصود واقعا الا المعنى الاخر كقول احدهم في وصف داره شعرا

مواخيه بها ان اقيم الصلوة ❊ فتسجد حيطانها الراكعة
اذا ما قرئت اذا زلزلت ❊ خشيت بان تقرا الواقعة

ويكتفي عن كون اللفظ ذا معنيين بمعنى واحد اذا كثر استعماله في بعض
موارد استعماله وكان له اختصاص به كقول احدهم والظنا بن النقيب

ومنكر شر اضحى بحلق خده ❊ لعساه لا يشكي اليه ويشكره
ويقص لحيته فان ناديته ❊ لباك وهو محلق ومقصره

فان الحلق والتقصير بمعنى واحد لكن اشتهار استعمالهما في اعمال الحج
حقق موضوع التورية كما انه يكتفي عن اللفظ الواحد بلفظين اذا اتفقا
في الصورة كقوله ما لي اراك تحت رق ❊ وكقولي
ولكن ان تسمي هذا واشباهه بالتورية المركبة جريا على اصطلاحهم في

الجناس ومن التورية ما لا يتم الا بجعل احد المعنيين من افراد الآخر وترتيب آثاره عليه كقول بعضهم في مليح حلق حاجبه شعر

سلطان حسن زاد في عدله ❊ فاختار ان يبقى بلا حاجب

وهذا النوع من التورية يقرب من الاستعارة جدا اذا كانت بين المعنيين مشابهة فيقع بينهما كقول الشيخ علاء الدين

قال لي العاذل المفند فيها ❊ يوم وافت واقبلت نحنا له

قم بنا ندعي النبوة في العشق ❊ فقد سلمت علينا الغزاله

والظاهر ان هذا البيت من اقسام الاستعارة اذ ليس فيه الا دعوى ان هذه المرأة ظبية او شمس وترتيب اثر سلامهما على سلامها

ومثله للشيخ الصفي الدين

تنبا فيك قلبي واسترابت ❊ بر قوم وعمهم الضلال

فمذ سلمت سلمت البرايا ❊ الي وقيل كلمه الغزال

وقد يجمع بين الاستعارة والتورية في هذا القسم كقوله

يا بدر اهلك جاروا ❊ وعلموك التجري

فليفعلوا ما يشاؤا ❊ فانهم اهل بدر

فانه اطلق لفظ البدر على المحبوب بالاستعارة ورتب عليه اثر البدر بمعنى اخر وانت في هذه الاقسام بالخيار فان شئت مراعاة ما ذكره القوم في الشواهد وعدم اخراجها عن حريم التورية تسامحت فيما وصفنا وعممت الاسم كما صنعناه وان شئت الحقت كلا من هذه الشواهد وامثالها بما يناسبها من النكات وعد ما لا تجد ما يناسبها من النكات المذكورة نكتة مستقلة ومع هذه التسامحات وما عرفته منا من التوسعة في امر التورية فان كثيرا من الشواهد التي ذكروها لها ليست منها فكيف لو بنينا على التضييق الذي يلزم من تعريفهم لها والزمناهم حدهم الا ترى انهم عدوا من التورية قول الوداعي

وقائل قل لي ما سنها ❊ فقلت ما في فمها سن

وهو من شواهد القول بالموجب وقول الآخر

عن احمر المشروب ما ننتهي ❊ قلت ولا عن اخضر الشارب

وفي هذا البيت عدة نكات بديعية اظهرها التجنيس بين المشروب والشارب ومراعاة النظير بينهما والتدبيج او ابهامه ان لم يكن المراد باخضرار الشارب اللون وليس فيه تورية الا على معنى ركيك لا يخفى

ذلك مما لا يخفى على المتتبع وقد طال الكلام في التورية مع ذلك بقيت
منها مباحث كثيرة يستدعي تحقيقها تصنيف رسالة مستقلة ولعمري
ان المتاخرين لم يوفوا حقها بالبحث على انها بضاعتهم وعمدة صناعتهم
رجع ولعلماء البديع مع ذلك مسامحات كثيرة في ضبط الانواع و
تعدادها فربما جمعوا بين امور مختلفة باسم واحد وربما سموا نكتة
واحدة باسماء متعددة بتوهم فرق ضعيف او ممنوع فاوجب ذلك تكثير
الاصطلاحات وتعسر ضبط النكات وتقسيمات علماء المعاني لما ذكروه
من النكات احسن من تقسيمات هؤلاء واقرب الى الاعتبار وهذا
كله لا يوجب طعنا في هذا العلم ولا يدعو الى الاعراض عنه اذ حال
البديع كحال سائر العلوم فهل تعلم علما سلم جميع مسائله من الايراد
ولم يتطرق الى شيء منها الفساد بل ذلك ادعى للخوض في مسائله والتمييز
بين حقه وباطله وان انكر الخصم الكلية في صنايع البديع وقال
ليس كل تجنيس بنفيس ولا كل ترصيع ببديع ونحن نرى في التلميح ما لا
يستملح ومن الترديد ما لا يراد ومن التخيير ما لا يختار ونرى البيت
فيه الغلو والاغراق والتناسب والطباق والطباع لا تقبله

والاسماع

والاسماع تستثقله ونرى المطرف والمفوف وليس له ديباجه وكم بيت
لم يقبل الذوق ادماجه فاوجب من البيت اخراجه فهو حق ايضا في الجملة
ولكن للمحسنات البديعية شروط لا يحسن الا بها وموارد لا يستحسن الا
فيها وجميع ذلك مبين في ذلك ويجب ان ينبه على ان الكلام كما
ان له محسنات له مقبحات كذلك وقد ذكر اهل البديع ذلك اجمالا
في تعريف هذا العلم وكان الاولى ذكر ذلك تفصيلا وجعله من مسائل
الفن وتتميم تحديده بان يقال انه علم يعرف به محسنات الكلام ومقبحاته
ولئن تركوا ذلك فقد ذكروا عدة منها بزعم ان تركها من المحسنات كالا
نسجام فانهم جعلوا العمدة في تعريفه الخلو عن التكلف والتعقيد مع
ان الكلام لا يكون حسنا بمجرد الخلو عن ذلك والا لكان من شواهده
قول القائل

ربما اوفيت في علم ∴ ترفعن ثوبي شمالات

وقول السوقي من يشتري باذنجان نعم وجودها مقبح للكلام
واذا تجاوز الحد في الكلام لا يكاد يرفعها معظم محسنات البديع
وكذلك بعض الاستلافات المذكورة في كتب الفن الا ان يؤخذ في

حدودها امور وجودية توجب دخولها في عداد المحسنات والكلام في ذلك
يأتي تفصيله في شرح الكتاب ان شاء الله غير انا نقول هنا اجمالاً لاهل قولهم
يستحسن في الالفاظ الجناس والاشتقاق وفي المعاني الغلو والاتفاق
الا كقولهم لك يستحسن الدعج في العينين والزجج في الحاجبين فهل
ينافي ذلك ان لم يستحسن وجه فيه عين دعجاء سوداء او زجج الحاجبين
يكون في حسن الوجه وان لستتبع لحية طويلة سفساء وان اعترف بجميع
ما تقدم وقال انا ادعا نوى البيت حسنا ولا نرى فيه شيئا من
النكات المذكورة فهو كذلك بل الحق ان القوم لم يذكروا من المحسنات
الا اشياء يسيرة وهي اكثر مما ذكروه باضعاف كثيرة ولا يزال المتأمل
في كلام الله سبحانه يظفر بنكات شريفة ومحسنات طريفة لم يلتفت اليها
الاقدمون وكل الخطب والادعية المنقولة عن اهل البيت عليهم السلام
وكتاب نهج البلاغة وحده كاف لان يخرج منه المتدرب في الصناعة
ان كان من اهل الفطانة اضعاف ما ذكروه وجميع ذلك لا يضر باصل
العلم ولا بصحة مسائله المذكورة فيه بل ذلك ادعى للخوض فيه والتعويل
عليه لنزداد ونهذب لآلئه ولعمري انه علم جهل عظيم مقداره فتسارعت

الافكار الى انكاره وكثر الطاعنون عليه فقل الراغبون فيه ولم
يحظ بتوجه افكار المتأخرين اليه لظنهم بان موضوعه عدة تصنعات
خارجة عن موضوع الفصاحة والبلاغة وغفلتهم عما نبهناك عليه هنالك
من ان جميع محسنات الكلام داخلة في مسائله وان عدة مباحث علمي البلاغة
اما داخلة في مسائل هذا الفن او مقدمة لها ومطلوبة لاجلها هذا
السكاكي وهو العلم في العلمين والمؤسس للفنين كانت عقبى مساهلته
في هذا الفن وثمرة مسامحته فيه ان فاته عند التكلم على محاسن قوله تعالى
وقيل يا ارض ابلعي الخ النصف منها او اكثر وقد تنبه لها العالمون
بالبديع ممن هو دون السكاكي في الفضل وجودة الفهم ولاجل هذا
الرأي الجامد والظن الفاسد بقيت عدة مسائله الصحيحة منحصرة فيما
ذكره جماعة من المتقدمين بل قاسى من اغبياء المتأخرين ما يوجب للناظر فيه
الرثاء له ولو اعطوه حقه من التأمل والبحث لبلغ على كرور الاعصار وتلاحق
الافكار مرتبة تبهر الالباب وكان انفع علم لمعرفة اعجاز الكتاب و
مع ذلك فلا يكاد يخفى على المتدرب الفطن موقع الحسن من كل كلام حسن
فمن تأمل في قوله فسولت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من النادمين

ادرك الحسن في ترتيب كل من التسويل والقتل والندم على ما قبله حتى
صح عطف الجميع بالفاء ورأى مثل ذلك وان كان كلام الله اجل
من ان يقاس بغيره في قول الشاعر

• رأى فخبت فرام الوصل فامتنعوا ÷ فسام صبرا فاعيى نيله فقضى •

فلذا ان يلحق ذلك بنكات البديع ونختار له اسما يناسبه وقد استحسن
مولاي الاخ لما عرضت عليه ذلك تسميته بالتسبيب ومن نظر الى قول
امير المؤمنين ع داخل في الاشياء لا بممازجة خارج من الاشياء لا بمباينة
سميع لا وراى انوار الحسن بازغة من اثبات الشيء ونفي لازمه لو غالبا
ورأى مثله في قول صاحبي العالم الفاضل بل استاذي الذي منه تعلمت
سحر بابل على جيد الفضل بابهى حلي السيد جعفر الحلي رحم الله شبابه
واجزل ثوابه

• واركبن لها الفلا بسفائن ÷ ما من من امراسها الملاح •
• مثل القسي وما لهن صفائح ÷ او كالصقور وما لهن جناح •

وفي قولي اصف النياق ايضا

سفائن للسرى لم تدر بحرا ÷ وتدري ما السباسب والبقاع

• فلا ترجو لسراها ابتلالا ÷ ولا يخشى الدبور له شراع •

بل لك ان تستفيد من الشطر الثاني ان اثبات لوازم الضد للشيء
يزيده حسنا ايضا ومثله قول ابي نواس كتبته من غير قرطاس بلا قلم
والبيت في معنى شنيع فلا داعي لنقل تمامه واذا انا املت قول القائل

• وليس صرير النعش ما تسمعونه ÷ ولكنه اضلاع قوم تقصف •

رأيت عمدة الحسن فيه انكار امر ثابت وادعاء امر غير ثابت ولك ان تسمي
ذلك بالمغالطة ونجعل من شواهدها قول القائل

• وليس الذي يجري من العين ماؤها ÷ ولكنه نفس تذوب فتقطر •

واذا التفت الى قوله تعالى يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك
فلك ان تجعل الالتفات من مخاطب الى مخاطب اخر من نكات البديع
اذ ليس هو بادون مما ذكروه من الالتفات عن الغيبة الى الخطاب ونحوه
بل هو احلى منه في الذوق والطيب ومن شواهده قوله

• فيا ليلتي هكذا هكذا ÷ ويا لله بالله قف يا سحر •

واذا رأيتهم عدوا منها عتاب المرء نفسه فلك ان تعلم ان لا خصوصية
للعتاب بل كذلك مطلق الخطاب مع النفس كقولي

• يا نفس لي من الاباء شيمة ﴿ فصاحبيني مرة او فارقي •

• لا رجعت كفي الى بعدما ﴿ مدت لحاجة الى الخلائق •

وظاهر ان مثلها ومنها عتاب القلب كقول البهاء زهير

ويحك يا قلب ما قلت لك ﴿ اياك ان تهلك فيمن هلك •

على ان الظاهر دخول الجميع في نوع التجريد بناء على ما عرفوه ولكن

ذلك كلام لا يتحمله المقام واذا تأملت قوله تعالى وترى الناس سكارى

وما هم بسكارى الخ وقول البحتري

• من جعاد الاكف غير جعاد ﴿ وغضاب الوجوه غير غضاب •

ادركت حسنا ظاهرا في اثبات الشئ ونفيه معا لا سيما اذا انضمت اليه

التورية او ايهامها كما في قوله

• ظل يدعى بالجفون ظبي ﴿ لو يحب يونا الهوى ما ظل •

وهذا غير ما ذكروه من طباق السلب بعد الايجاب وان كان ملازما

معه اذ فيه حسن زائد على الطباق وهو ايهام اثبات الواسطة بين الوجود

والعدم وبيان ارتفاعهما معا وهذا غير الحسن الحاصل من مجرد اجتماع لفظي

الايجاب والسلب في كلام واحد لو لامرين مختلفين كما في قوله تعالى

ولا

ولا تخشوا الناس واخشوني والحسن فيما ذكرناه معنوي وفي الثاني

يشبه ان يكون لفظيا وان كان معنويا فلا شك انه حيثية اخرى غير

ما ذكرناه وان ما ذكرناه اعلى رتبة والمعتبر في تعداد النكات هي

الجهات التي توجب الحسن وان كان بعضها ملازما للاخر الا ترى

انهم عدوا كلا من التعديد وحسن النسق مستقلا مع انهما متلازمان

للتفويف ومثله نفي الضدين او الاضداد وكذلك ونفي جميع ما للجنس

من الانواع كقول المتنبي في هجاء كافور لا في الرجال ولا النسوان معدود

وللحسن مع ذلك اسباب اخر تتبع خصوصيات الموارد وخصوصيات

الاحوال وتختلف باختلاف البلاد والعادات ومثل ذلك وان

كان بيانه يقول كلي ممتنعا ولكنه لا يخفى على الفطن المتدرب في الصناعة

كما في قول البحتري يهجو قاضيا

• فلا تشلل فنعم اخو الندامى ﴿ وساقي فضلة الزق الزلال •

ولو كان هذا في مغن او مطرب لكان مدحا متوسطا ولكن كونه في

قاض مشتكه التقوى والصلاح ويتحرج ان يقال فيه انه يرتكب

المباح جعله من احسن الهجاء الى غير ذلك مما يوجب تعداده الخروج عن

المقام وانما الغرض بيان انموذج منها وترغيب اولي الافهام من اهل العصر على
استخراج امثالها والحاقها بما ذكروه ليتسع نطاق هذا العلم ويثبت
لهم على المتاخرين عنهم من الحق مثل ما ثبت للمتقدمين عليهم ثم اخوانا لهؤلاء من
الجيل العامي اذا انشدوا ابياتا حسنة يزعمون خلوها من النكات
العلمية ويجعلون ذلك دليلا على ان الحسن في الكلام غير تابع للنكات
وهذا جهل ومكابرة وخروج عن اداب المناظرة اذ العاقل لا يدفع
ما يعلم لاجل ما لا يعلم ووجود مسائل مجهولة في كل علم لا يضر بمسائله
المعلومة وظاهر لدى من تحكم ممارسة العلوم انه لا علم الا وفيه مشكلات
كثيرة قد عجز اربابه عن حلها ولم يمنعهم ذلك عن الاعتراف بتلك المسائل ولم
يجعلوا ذلك دليلا على بطلان العلم من اصله ولو سلمنا عجزنا عن بيان الوجوه
في تلك الابيات اليسيرة فعندنا من الشعر الجيد ما يزيد عليها باضعاف
مضاعفة كثيرة وقد عرفنا وجه الحسن فيها فهذه الابيات تكون مشكلات
الفن وحلها في عهدة من ياتي بعدنا من فضلاء الزمن وحال البديع
في ذلك حال سائر العلوم ووجود مجهولات كثيرة في كل منها ظاهر
معلوم نعم هذا الدليل رد على من يزعم انحصار النكات بهذه

المحصورة

المحصورة وقد عرفت انا لا نقول بذلك وان نازعنا في النكات
المستحسنة عند كافة المتاخرين كالتورية والتوجيه والتضمين فان
كان ذلك لشبهة عرضت له وهي ظنه خلو اشعار المتقدمين عنها وانحصار
المحاسن فيما اهتدوا اليها فسوف نوضح بعون الله في الفصول الاتية وجودها
في اشعار الاوائل اولا وعدم انحصار المحاسن فيما عرفوه ثانيا وان كان
ذلك لنبو طبعه عنها وعدم ميله اليها مع اطلاعه على جيد الاشعار
المشتملة لها فهو رجل قد غلظ منه الطبع وفسد منه الذوق **شعر**

ومن يك ذا فم مر مريض ** يجد مرا به الماء الزلالا

ومثله لا ينفعه الاستدلال والبرهان ولا يعالج الا بالكي والادهان
وهذا فريضة الطبيب لا وظيفة الاديب ولو كان حلاوة القند والعسل
وتنبه عرف العود والمندل مما يمكن اثباته بالدليل لامكننا مثله هدايتنا
الى واضح السبيل ولكن نقول له ان اخوانك الذين فسد منهم بعض
الحواس يعرفون حسن الوجدانيات بالقياس ويعترفون به لاجل
اتفاق الناس فكما ان فاقد الذوق والاخشم يعرفان طيب المسك
ومرارة العلقم لاتفاق الناس عليها فكذلك ينبغي لك ان تعلم حسن هذه

النكات من اتفاق الفضلاء والشعراء عليها وولوعهم بها مع اختلاف
اعصارهم وتباعد بلادهم بل واختلاف لغاتهم فان امثال هذه
النكات لا تختص باللغة العربية وبعد ذلك لا ينفع معه الا الارسال ونزه
الى البيمارستان وأمر الطبيب بتعديل مزاجه والرفق في علاجه ونبذل
له ثمن الدواء ونعينه بصالح الدعاء وقد طالت المناظرة مع هذا الجاحد
المعاند وان اشتملت على عدة فوائد وفذلكة المقام ان علماء البديع
لا يحسنون قبيحا ولا يقبحون حسنا وانهم مقصورون على بيان وجه الحسن في
الكلام الحسن وجميع جهاته من المواضع المتفرقة والفرق بينهم وبين سواهم
ان احدهم يتمكن من قصد المحاسن وتطلبها وغيرهم لا يتمكن منها الا اذا
وقعت له اتفاقا وايضا فالبيت الحسن اذا عرض على احد من اهل الفن
عرف موضع الحسن منه وامكنه البيان وقطع خصمه بواضح البرهان واما
الجاهل ان فرض ادراكه لذلك فلا يفقه البيان ولا يفصح الكلام ولا
يستطيع لخصمه الدفاع واذا نازعه في ذلك احد وعكس عليه الدعوى
خصمه الالد لا يجد بدا الا بالجري على عادة النساء والصبيان من تكرار
الدعوى وتاكيده بغموس الايمان وان كان له الخصم بغضا وباعه بدراهم

فلا ترى

فلا ترى الشيخ الا وقد وقف حماره على القنطرة ونصب نفسه غرضا
للاستهزاء والسخرة وبالجملة فاهل البديع عالمون واهل العمود
جاهلون والفصل قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
فصل افرط جماعة من المتأخرين في التعصب على المتقدمين فزعموا
انه ليس في اشعارهم بيت يستجاد ولا معنى يستفاد ورموهم بجمود
الطبع وقلة التصرف وبلادة الفهم وعدم التعرف وجحدوا ما لهم من
الحق الواجب ولم يشكروا اياديهم والشكر على الحر ضربة لازب حتى
ان اصغرهم يرجح نفسه على هؤلاء الاكابر وينكر ما لهم من جميل
المآثر وهذا عدول عن نهج الحق وانحراف عن جادة الصواب وخطة اعتساف
لا يرضيها اولو الالباب كيف والمتقدمون هم الذين اوضحوا طرق
البلاغة واناروها واسدوا برود الفصاحة واناروها وذللوا من
صعاب المعاني شموسها واطلعوا لهم في آفاق الالفاظ شموسها وهم
عرفونا العدول الى الاستعارة والمجاز عن الحقيقة فاحسان المتأخرين
احسانهم في الحقيقة وبلغ من تعصب هؤلاء ان احدهم اذا عثر على عثرة
للمتقدمين اذاعها او على كبوة اشاعها واذا وقع مثلها للمتأخر اسدل

عليها الستر واعتاض عنها بجميل العذر فتراه ينعى على امرئ القيس قوله

وتعطو برخص غير شثن كأنه ... اساريع ظبي او مساويك اسحل

ويقول ان الجارية الصبيحة لا ترضى ان تشبه اصابعها المليحة بهذه الحيوانات القبيحة ولا ينبغي على المتأخرين ولوعهم بتشبيه الاصداغ بالعقارب مع ان الاصابع ليست اشرف من الاصداغ ولا الاساريع اقبح من العقارب نعم لقائل ان يقول ان امرأ القيس وان ابلغ الغاية ولكنها اردى ما اصيب في [illegible] ولكن اشوى وهو ان دنى الحسن التشبيه اصبعا فالمتأخرون نزوا منه باعا او تقدم قدما فالمتأخرون تقدموا ذراعا واين منه قولهم

كأن بنانه اقلام عاج ... مقمعة الرؤوس بابنوس

وقولهم يعطيكها رشاء كأن بنانه ... من فضة قد طرفت عنابا

لولا انه قد افسده بعدم مراعاة النظير بين الفضة والعناب وقول الكامل المهذب الشيخ محمد رضا الشبيبي سلمه الله تعالى شعر

ماء الشباب سقى اغصانا اغلن ... فاثمرت لجناة الحب عنابا

واعترضوا على البحتري قوله

وهن يصيد قلوب الرجال ... وافلت منها ابن عمرو حجر

واستبشعوا اسم محبوبته وقالوا اراد على ان جعل اباه من فارات بيته وهم يعتذرون عن قول ابي الطيب

محمد بن حمدون وحمدون حامد ... وحارث لقمان ولقمان راشد

بان قبح الاسماء ليس من ذنب الشاعر وليس له ان يغير الاعلام نعم في البيت عجرفة قبيحة وما ظننا عاقلا يجعل من مفاخر ابيه انه ما عشق معشوقة او يزعم ذلك من محاسن الصفات فيصف بذلك حظيته واما انكارهم محاسن المتقدمين فهو ناش من قلة التتبع او كثرة التعصب وقد اشتمل كتاب الحماسة لابي تمام والمفضليات للضبي على اشعار جيدة كثيرة لا تبلى الايام جدتها ولا يسلب تقادم العهد رونقها وبهجتها بل انا نرى من المحاسن لهم ما يعجز المتأخر عن مباراته ويقصر عنه لدى مجاراته كقوله

كأن القلب ليلة قيل يغدى ... بليلى العامرية او يراح

قطاة عزها شرك فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح

وهذا تشبيه ما له في الحسن من شبيه وفي قوله علق الجناح ايغال يعجز عن نعت حسنه المقال وما رأينا المتأخرين في خفقان القلب الا قوله

فقلت وصلك عرس ÷ والقلب يرقص فيه

ونحوه مما لا يشبهه ذلك ولا يدانيه فضلًا من ان يعادله ويماثله

وقول عنترة

سموت اليها والنجوم كأنها ÷ قوارير فيها زئبق يترجرج

واحسن ما سمعنا للمتأخرين في ذلك قول المعري

وسهيل كوجنة الحب في اللون ÷ وقلب المحب في الخفقان

وهو وان كان قد احسن في الجمع بين تشبيهين لكن بيت المتقدم
اغرب تشبيهًا وهو من التشبيه المركب الذي هو على رتبة من غيره الى غير
ذلك من محاسنهم التي لا تتناهى وافرط جماعة في التعصب لهم حتى
زعموا الحسن مقصورًا على اشعارهم والطريق منحصرًا في اتباع آثارهم وجوزوا
ارتكاب ما ارتكبوه وان كان قبيحًا وحضروا عن التعدي عن مذاهبهم في
الشعر وان كان مليحًا حسنًا واذا نظم المتأخر المجيد شعرًا يشتمل على النكات
المطربة والمعاني الظريفة نكسوا رؤسهم معرضين ولوموه بربين
كأنه جاء باعظم الجرم او ارتكب اكبر الكبائر واذا قرع اسماعهم بيت
ما فيه الا ذكر ناقة او بعير ارتفعت اصواتهم بالتهليل والتكبير وتراهم

عند ذلك وتدعوك اذا تأملهم الاستحسان والاستجادة واكثروا من
الاستعادة حتى كأن الناقة كانت لهم أمًّا والفصيل اخًا والبعير ابًا او عمًّا
واذا نظم اليه لفظ الشيح والقيصوم او القلام والثنوم او كان فيه ذكر امكنة
مشومة وبقاع غير معلومة لكان عندهم في الغاية الاقامة لعمود الشعر ملحقًا
بحلال السحر فهؤلاء اعزك الله قوم عادموا البصيرة والمتأخر المجيد
معهم في حيرة فان نظم الشعر مشتملا على المعاني الرشيقة والالفاظ
الرقيقة مجوه الجفا والصدود ورموه بعقارب الحقود وان سلك مسلك
الاوائل قالوا انه لم يأت بطائل لانه احتذى على مثالهم ونسج على
منوالهم والشاهد على ذلك ما جرى لشيخ الصناعة وامام ارباب البراعة
الشيخ ابي تمام فان القوم جعلوه اول من افسد الشعر بالبديع وفارق
عمود الشعر وسلك غير مذهب الاوائل فكأنهم انكروا عليه مثل قوله

السيف اصدق انباء من الكتب ÷ في حده الحد بين الجد واللعب

وقالوا ان في هذا البيت قبائح منها احسن التخييل التام بين الحد والجد
وحسن الطباق بين اللعب والجد وقدموا عليه احد تلامذته والمتطفلين
على مائدته وسموا شعره بسلاسل الذهب وحكموا الحسن حذا فيه وفرطوا فيه

فكانهم استحسنوا مثل قوله

خيال لعيترينى فى المنام ؞ لسكرى اللحظ فاتنة القوام

لعلوة انها شجن لقلبى ؞ وبلبال القلبى المستهام

ومثل قوله

منى النفس فى اسماء لو يستطيعها ؞ بها وجدها من غادة وولوعها

الى غير ذلك من شعره البديع الذى علم تشدد محاسن البديع ولما نظم
الشيخ ارجوزته المعروفة التى اولها — شعر

وعاذل عذلته فى عذله ؞ فظن انى جاهل بجهله

وهى ارجوزة على مسلك البداوة وما لها فى الحسن من شبيه ولا يعجبها
من لا يعرف قائلها الا انها لرؤبة او ابيه ولهذا استحسنها ابن الاعرابى
وكتبها بخطه ولما قيل انها لابى تمام مزقها واهل العمى يعتقدون دون
عن قبيح فعل ابن الاعرابى باعرضه من ان تكون للاعرابى وهو على غير
مثال الحلى فى النفوس فى القصة قد نقلها الاعرابى مكى وغيره وهذا عقبى
الجهل وغوة التعصب واللازم من الامر سد باب النظم على المتاخرين وجعل الشعر
من خصائص المتقدمين فحسب وكل هذا تفريط وافراط وتنكب عن مستقيم

السراط الجادة وسط بين طرفين وامر بين امرين والحق ان المتقدمين
لما كانوا هم المخترعون لاصل الشعر والسابقون الى معرفة قوافيه واوزانه
والمؤسسين لعمد اركانه كالاستعارة والتشبيه والمجاز المرسل ومعظم نكاته
كالكلام الجامع وارسال المثل وكانوا هم الذين قسموه الى فصول وابواب
كالمدح والهجاء والعتاب فان لهم من الفضل ما ليس للمتاخرين المقتفين بنور
نبراسهم البانين على محكم اساسهم اذ المبدع المخترع لكل فن وصنعة
لا يقاس فى الفضل بالمحتذى المتبع وان احسن فيه كل الاحسان واتقنه غاية
الاتقان وذلك واضح لدى من انصف من نفسه وقاس الشعر الى سائر
انواع جنسه فان جعله من الصنائع فانا نعلم ان كل صبى اذا زاول الخط
مدة قليلة يكتب ما يفوق فى الحسن على من اخترع فن الكتابة وتنبه الى انه
يمكن الانسان ان يبين جميع مطالبه وهو فى اقصى الاندلس لمن هو فى اقصى
الصين ويخاطب من يأتى بعده بالالوف من السنين واستخدم اليد فيما
هو من وظيفة اللسان واستخدم الابصار فيما هو من وظيفة الاذان فوضع لذلك
الخط واخترع القرطاس ونبه الناس على صناعة الانقاس فهل ترى من
نفسك ان ترجح ذلك الصبى الغبى ومن يعمل الحبر والقرطاس فى هذا الزمان

ويعين فيهما غاية الاحسان الى ذلك الرجل العظيم والمخترع الحكيم وكل
من يصوغ من الذهب في هذا الزمان ما يحير الالباب فهل يقاس في
الفضل بمن اخترع اصل الصياغة وعلم الناس سبكه وتخليصه من التراب
وان جعلته من العلوم فان من اشتغل قليلا بعلم الهيئة والرصد يحيط
باكثر معلومات المتقدمين بل يطلع على امور كانت عندهم مجهولة فيعلم
حركة اوج الشمس وكان بطليموس يزعم انه ساكن ويعلم بحركة الثوابت و
كانوا قبل ابرخس جاهلين بها وصناع هذا الزمان يصنعون الالات
الرصدية ما لا يقاس في الحسن بالات المتقدمين فهل ترى ان ترجح هؤلاء
على الحكماء المتقدمين الذين عرفوا الحركات الفلكية وضبطوا مقاديرها
بالبراهين الهندسية واخترعوا لذلك اصل صناعة الالات ووضعوا
اصولها علم تسطيح الكرات نعم كل من زاد في كل فن وصنعة زيادة
حسن او رفع عنه نقيصة بينة فان لم يعقد له اختراعه الفضل على
من تاخر عنه كان للمتقدم الفضل عليه ولهذا يصح لنا ان نقول ان
القدماء اشعر من المتاخرين بالمعنى الذي ذكرناه للوجه الذي بيناه
ولكن اشعار المتاخرين احسن واكمل من اشعار المتقدمين لاشتمالها على

المحاسن التي اخترعوها وابتدعوها ومحاسن اخر ظفرت بها الافهام
على تطاول الايام وخلوها عن القبائح التي غفل عنها الاقدمون اذ
ما زال العلماء يبالغون في تحسينه وتهذيبه ويسعون في رفع نقائصه
وعيوبه حتى تمكن المتاخر من ان ينظم ما لا يقاس في الحسن بنظم الاولين
وهذا لا يختص بالشعر بل كل فن وصنعة يكون اول اختراعه
قليل المسائل ممتزجا حقه بالباطل ثم يتهذب بتلاحق الافكار على
كرور الاعصار والحال فيه كالحال في سائر الصنائع التي تصنع في الاعصار
اللاحقة فانها لا تقاس حسنا بما صنعت في القرون السابقة كالمساكن و
الملابس والات المعاش والعلوم وكذلك العلوم من الطب والهندسة و
النجوم فاذا نظر اليها الناظر ورأى انها كيف تهذبت مسائلها واتقنت دلائلها
وكيف محص حقها وزهق باطلها ثم رأى ان الشعر واحد الامرين لم يجد
فارقا بينهما علم انا قد عدلنا في القضية وما عدلنا عن الحق لداعي
العصبية واما حسن التشبيه والاستعارة وما شابههما من المعاني
الشعرية فتابع لمقدار معرفة الشاعر واطلاعه على الاشياء فكلما اتسعت
معلوماته ازدادت في الحسن والكثرة تشبيهاته واستعاراته والقدماء لما

كانوا اهل بداوة وضنك في المعاش والجهل بما هو متعارف عند
اهل المدن من اصناف الاشياء الاجرام الحضرية تشبيهاتهم واستعاراتهم
وكثير من معانيهم واوصافهم مما كان موجودا في باديتهم ونظرت اليه ابصارهم
ووصلت اليه افكارهم ولهذا ترى في اللامية التي علقت لحسنها في
الكعبة المشرفة المشبه بعر الصيران والمشبه به حب الفلفل بقاعين او قاتين
وهما كثير وغيره وكل غير جيد ولا ترى في اشعارهم مثل تشبيهات ابن
الرومي وابن المعتز لا لقصور افهامهم عن درك جيد التشبيه بل لعدم
اطلاعهم على ما يحتاج اليه من دركه والشاعر بما هو شاعر لا يكلف الا ان
يحسن تشبيه ما يراه ويختار له احسن ما يبلغه فهمه ويحيط به علمه واما
تشبيه اشياء لم يقع نظره عليها او التشبيه بامور لم يبلغ علمه اليها فما ليس
في وسعه ولا يلام على تركه واي ذنب للاعرابي الذي لم ير الاذريون
مدة عمره ولا مداهن الفضة طول دهره ان لا يقول فيه مثلها شعر

مداهن من فضة ❊ فيها بقايا غالية

واي فضل للارجاني في قصيدته البديعية التي وصف فيها الشمعة
على البدوي الذي سكن الدهناء ولم يعرف ما يستضاء به في الليل غير نجوم سمائها

وامثالهم

نعم له الفضل على من عجز عن مثل قصيدته من سكنة الامصار لا سكان
البوادي والقفار وهذا مقام آخر ننصف فيه المتقدمين بل ننتصف
لهم من المتاخرين ونقول انا لو لاحظنا ما اخترعه الاولون من المعاني
الدقيقة والتشبيهات والاستعارات والكنايات ونسبناها
الى معلوماتهم ولاحظنا تصرفات المتاخرين ونسبناها الى معلوماتهم
وجدنا المتقدمين اكثر معانيا واحسن تصرفا وهذه اشعارهم مشحونة
بمحاسن المعاني في كل باب من الشعر وفي كل مقام لا تبلى جدتها الايام
وبهذين الوجهين ظهر لك صحة ما ادعيناه من ان اشعار المتاخرين
احسن من المتقدمين واتضح بما مر ان الفضل للمتقدمين حتى فيما صنع المتاخرون
وهذه الحكومة لا تختص بالشعر بل هي الفصل في كل فن وصنعة والواجب
على كل احد من اهلهما ان يعترف بالفضل للمتقدم عليه فيهما وكذلك
الواجب على كل من احسن فنا وصنعة ان يجعل معظم اطرائه وعمدة ثنائه
لمن له الاختراع ولا يمدح المحسن الا بحسن العمل وجودة الاتباع وهذا
مما جبلت عليه الطباع فان من رأى آلة الساعة اطرى بالثناء على مخترع
تلك الصناعة ولا يلتفت ذهنه الى صانعها الا بعد ساعة ولكن هل

تراه اذا اراد ان يشتري احدها يترك ما يصنعه المتاخرون وهي احسن ما يكون في الشكل واتقن ما يكون في الضبط واصغر ما يكون في الحجم حتى ان منها ما يجعل مكان الفص من الخاتم ويشتري ما صنعه الاولون وهي فيما بلغنا كانت مشتملة على سبعمائة حجر وكان صاحبها يخلي لها بيتا من بيوت الدار هذا مما لا يرتكبه عاقل ابدا وههنا امر اخر وهو ان الشعر المستحسن المرغوب فيه عند كل قوم هو ما نراه مناسبا لطباعهم وكان موافقا لمقاصدهم واغراضهم ولهذا نرى كثيرا من شعر العرب غير مستحسن لدى الفرس وبالعكس الا ما توافقت عليه طباع الفريقين فلم يختلف فيه اغراض الطائفتين وقد عرض علينا احسن شعر شكسبيه وهو اشهر شعراء اوربا فوجدنا اكثر معانيه وتشبيهاته مستهجنة لدينا ولا شك ان ما استحسن عند اهل البادية مستهجن عند سكنة الامصار وان الطباع قد تختلف باختلاف الاعصار فقد انقضت دولة الرند والعرار وجاءت دولة الورد والبهار ومضى زمان الشيح والايهقان وجاء زمان النسرين والسوسان وقد مضى الزمان الذي كان فيه صيد اليربوع محبوبا لدى الشعراء كما تمنى الراجز في قوله شعرا

شعر

احب ان اصطاد ضبا سحبلا ٭ رعى الربيع والشتاء ارملا

وكان يعد من المفاخر والفضائل حتى افتخر به القائل شعرا

واني لاصطاد اليرابيع كلها ٭ شفاريها والتدمري المقصعا

ولا عتب على هذا القائل لانه قد افتخر بما كان معدودا عند قومه من الفضائل ولكن هل ترى للحضري الذي لا يرغب في اليربوع ويعاف لحمه ان يصبو نحوه ويجد في الشعر هذا ونعم العتب بل اللوم على متنكب سهل الشعر والسالك الحزون نزاعا الى فرع الشجرة الملعونة حيث يقول

فما العيش الا الضب يحرشه الفتى ٭ وورد بمستن اليرابيع اكدر

ولا نعرف ابن فرحون شاعرا ولد في بلاد خراسان ومنابت الزعفران وهي من ابعد البلاد من منابت الشيح والعلجان ثم سكن حضرة رياض الجنان استحسنها وهي كما قال ابو نواس شعر

بلادا باعد الرحمن ٭ عنها الطلح والعشرا

ولم يجعل مصائدها ٭ يرابيعا ولا وحرا

وهذا الصقيع من ذنب الحشرات نفع عينه على يربوع او ضب ثم يرى الاحراش وورهما وصفار رفع المعاطن ثم ما كفنه لونته وعجمهيته

حتى قرنه بما يدل على الجهل الذي هو شيمته اذ قال بعد ذلك

شعر

بحيث يلف المرء الطناب بيته ÷ على العز والكوم المراسيل تنحر

وما درى ان الاحتراش كان دأب صعاليك العرب وكان مما يعير به

بنو تميم كما قال ابو نواس

اذا ما تميمي اتاك مفاخرا ÷ فقل عد عن ذا كيف اكلك للضب

وكانت نساءهم تفضحك منه كما قال

تفضحك مني ان راتني احترش ÷ ولو حرشت لكشفت عن حرش

ومن لف الطناب بيته على العز ونحر الكوم المراسيل فما له وللاحتراش وهذا

الشاعر دأبه ترك المعاني وخدمة الالفاظ والناس يقومون فظاظ غلاظ

وهو مع انه كان في عصر غلبت على الالفاظ المعاني وجاء بمثل الغزي و

القاضي الارجاني لا تلمح العين في ابياته معنى يستملح ولا يطرف الطرف معنى

يستطرف بل يرى معاني مبتذلة في ضمن الفاظ مهولة وغاية اختراعه وقصاراه

ومنتهى ابتداعه وحماداه قوله وهو مما اختاره ابن خلكان من شعره

وقفنا بنعمان الاراك وللندى ÷ سقيط به ابتلت علينا المطارف

الى ان قال

وقفت به والدمع اكثره دم ÷ كاني من عيني بنعمان راعف

ولا ادري ما اعجبه من تبلل الملابس بسقيط الطل حتى لحقق بكرره في

شعره فقال ÷ وظباء من بني اسد ÷ بهواها القلب متبول ÷

الى ان قال ÷ وبعانقنا ومحرمها ÷ بسقيط الطل مبلول ÷

ولعله بيت لا تعلو آيته الا من استصحب ما بين الدفتين واكثر من

تلاوة المعوذتين وهو قوله   شعر

ودنا نحوي ابو حنش ÷ ماجد في باعه طول ÷

ولا اظن ابا حنش الا احد شيوخ الجن والمعروف انهم يحضرون عند

ذكر اسمائهم ثم انه كثيرا ما يعارض الشريف الرضي في قصائده ويقابل

برخيص مخشلبه غوالي فرائده منها المقطوعة التي اولها   شعر

احبك ما اقام منى وجمع ÷ وما ارسى بمكة اخشباها ÷

فانه عارضها بمقطوعة اولها ÷ هي الجرعاء تستار رباها فحدها يا هذيم اما تراها

ومن تاملهما عرف الغث من السمين واللجين من اللجين نعم له فيها بيت

تعلم نحو الشريف عن نظمه وهو قوله   شعر

اظن الخمر ريقتها وظني ÷ يحققه اذا قبلت فاها ÷

وهذه قيادة تشو بها دبانه لامعا له ولا يحسن بهذين الفنين الا فرديهما

عن كلاوله وحاشا الغيرة الهاشمية والنخوة العلوية من ان ترضى بمثل

هذه الدنية ثم لا يخفى على الناظر فى ديوان هذا الشاعر ان

كثيرا من محاسن شعراء عصره قد دخل فى عداد شعره كالقصيدة التى اولها

• امط عن الدرر الزهر اليواقيتا ⁂ واجعل لحج تلاقينا مواقيتا •

وهى من اشهر شعر معاصره الغزى ومثل اللامية التى اولها

• ان لم امت بالنحط قال العذل ⁂ ما قيمة السيف الذى لا يقتل •

وهذا البيت كما تراه قد سقى بمياه الحضارة لعتبة بن شمان الاربابى

فكيف يصدر عن طبع متعجرف جاهل هذا وقد جرى القلم فى هذا الميدان

على خلاف ما نحب من افشاء المناقب وستر ما للرجال من المثالب لكن

هذا الرجل قد خالطت حسناته سيئاته وقلت اصاباته وكثرت عثراته

وكان احد رؤساء المتعجرفين ومن يتعصب له بعض العوديين فما علينا

من جناح ان نبصرهم وسهم فى القداح ومع ذلك كان فى النفس منه اشياء لم

اجد من بثها ابدا واعتلج فى الصدر امور لم استطع لها ردا وللرجل مع ذلك

شعر متوسط لا ينكر بل بعض محاسنه هى اشهر من ان تذكر وهو من العارفين بمذهب

البداوة وقد يوجد فى شعره حلاوة ويلوح عليها طلاوة رجع الى ما كنا

بصدده وكان عندهم من الادراك من احسن الهدايا واعظم العطايا •

ولهذا قال الحماسى

• تخيرت من نعمان عود اراكة ⁂ لهند ولكن من يبلغه هندا •

وما اهداه هذا الصعلوك الى حظيته لا يرضى احد من اهل هذا الزمان

ان يتصدق به على سائل او يعطيه لجاريته وكان عندهم التشبيه بالكلب

والتيس ونحوه حسنا كما قال احدهم شعرا

• انت كالكلب فى حفاظك للود ⁂ وكالتيس فى نطاح القروم •

ولو مدح احد من اهل العصر بمثل هذا الشعر لكانت جائزته نتف

السبال والصفع بالنعال وبالجملة لا شك عند كل عاقل ان الكلام

لا بد ان يكون على مقتضى الزمان وطباع اهله ولا صقاعه ابين من ان

يأتى شاعر من اهل هذا الزمان وسكنة البلدان باعرابى جاهل نشا فى قفر

ماحل وربى فى عيش قاحل فضل النظم على طريقة المتأخرين مع احتياجه

الى رقة الطبع وحدة الذهن وكثرة التصرف وقلة التعجرف يتوقف على

اتقان علوم البلاغة والاطلاع على كثير من مسائل العلو ليتمكن من التوجيه

والعقد والاقتباس وغير ذلك ثم ان التورية من اعظم نكات البديع
وقد ولع بها المتأخرون حتى ان اكثر شعراء القرن السابع والثامن انفردوا
في جميع فنون البديع عليها وما سمت انفسهم الا اليها فما اجروا جياد الفكر
في غير حلباتها وما حلي في افواههم غير نباتها وثمار تلوا في اثناء الليل و
اطراف النهار غير اياتها واحسن اقسامها ما وقعت التورية فيها بالفاظ
مسائل العلوم وانضم اليها التوجيه والاقتباس نحو هذا على صعوبتها
في نفسها وهو كما قال الصفدي فيها وفي الاستخدام كل منهما نادر الوقوع
ملحق بالمستحيل الممنوع

شعر

ممنوع لشوق على الغبي وقوعه ❊ من اي باب جاء لقي ومقفلا

ولا يفرع هضبته فارع ولا يقرع بابه قارع الا من تنحو البلاغة نحوه
في الخطاب ويجري ريحها حيث اصاب انتهى ولما راى اهل العمود
توقف هذه الطريقة على عدد وافر من العلوم واكثرهم منها صفر وعلى رقة
الطبع وطباعهم كانها قدت من صخر استصعبوا ذلك وراوا انفسهم
انها ليست هنالك فمالوا الى اقامة ما زعموه العمود فاحيوا منه الرسوم
العافية لا للجهل بالحق بل طلبا للراحة والعافية واعتذروا عن ذلك بان

خير الشعر ما اشبه شعر الاوائل وان ترك العرب لذلك دليل على ان ليس
تحته طائل وجعلوا احسن الشعر ما كان فيه طلاوة وجعلوا الطلاوة
منحصرة بمسلك البداوة وما هي عندهم الا عدة اسما وصفات للناقة
كشملة وزيافة وعيرانة وعدة من اسما اناث البقر وحيواناتها واعلام
امكنة العرب ودياراتها وحظروا الصنائع العلمية ومنعوا من المعاني الا ما
كانت عرفية عامية وعلى هذا يسهل النظم على عمود الشعر اذ كل من حفظ عدة
كلمات لغوية يتمكن ان يقول من غير فكرة وروية

شعر

كم عنتريس لي بذي الحمى ❊ غادرتها بالدو ترعى الخمخماء

ولازم مذهبهم ان يكون هذا البيت عامرا بفنون المحاسن خاليا عن العيوب
اذ فيه اكثر الامور المتقدمة وما حطت والحمد لله من قدر الرفيع صناعة
بديعية لا معنى بديع ثم ما كفاهم عار الجهل حتى قرنوا اليه حسد ارباب
الفضل واكثروا من الطعن على ارباب المعاني والنكات وقالوا انكم لستم
شعراء لان اشعاركم غير شبيهة باشعارهم ومقاصدكم غير مقاصدهم فان
شئتم سميناكم حكماء وفلاسفة ومتصنعين لا شعراء مفلقين وجميع
ذلك لعمرك الله وان اطالوا في بيانه فانه ليس تحته طائل وهو كلام جاهل

او سمجا هل اذا الكلام في حسن هذا المسلك قد تقدم وفرغنا عن بيانه
وهذه صناعة اخرى قد زادوها ورقاعة جديدة اظهروها وكان الاولى
لهم ان يخفوها ولمخصها الزوم التاسي بهؤلاء في ترك المحاسن مع الاعتراف
بحسنها وهذا المغفل المسكين اوجب التاسي باجلاف جاهلين بحيث لا يقول
احد باستحبابه بالنسبة الى رسول رب العالمين اذ لم يقل احد فيما اعلم انه
يكره اكل القطائف والكنافة وان كانتا في غاية اللطافة لانه صلعم لم ياكلهما او
انه يستحب ترك لبس الفرو في الشتاء والكتان في الصيف والاقتصار
في الات الحرب على الرمح والسيف ونحو ذلك هذا مع ما ورد من الحث
على التاسي به في محكم الفرقان واية صحيح الاعتبار واوضح البرهان ثم
انه لو ادعى انهم خصوا الشعر بهذه المنقبة واوجبوا التاسي فيه بهذه المرتبة لما
بالهم لا يتاسون بهم في سائر العادات والصناعات والملابس والماكولات
ولان بلغت العصبية بهم هذه المرتبة فقد راحوا بصفقة خاسرة وحرموا
انفسهم لذائذ الدنيا من غير ان يكون لهم اجر في الاخرة وان شاء فليخرج من
داره يوما في شملتين وهو قابض على ضب يقبضه بكلتا اليدين وان نعلم ان لك
فان صبيان الكتاب يكفوننا برضخه بالحجارة مؤنة الجواب وتخصيصهم الشعر بهذه

المنزلة دليل الشاعر فيما ذكر من انه ما دعاهم الى نشرهم من عمود الشعر عظامه البالية
والتاسي باعراب نجد العالية الا قصور همتهم عن طلب المراتب العالية وما
اشبههم الا بمن يتعاطى البنيان وعجز عن تعلم ما يصنعه البناؤون في هذا
الزمان فطفق يبني بيوتا حقيرة من الطين ويقول خير البنيان ما اشبه بناء
الاولين وكان الاولى لهم ان يسلكوا الى الشئ بابه ويعنوا اليه باسنا
فيصرفوا العمر الذي ضيعوه في ضبط اسامي الفيافي والسباسب واقسام سير
الركائب في تعلم ما يحتاج اليه الشاعر في تحسين كلامه وبلوغ مرامه فان
المجيدين من المتاخرين بشر امثالهم لم يكونوا من الملائكة الكرام وما عرفوا
ما عرفوا بالوحي والالهام بل طلبوا الماء من مجاريه ووصلوا الى غاية الامر
من مباديه فان فعل ذلك فانا نرجو الله ان يظفر بمراده والا فالفضل لله
يؤتيه من يشاء من عباده وطريق المعاش ليس منحصرا بالشعر فان الحياكة
صنعة مرغوبة في كل زمان والفاعل وان لم يحسن البنا يعطى له كل يوم
درهمان فصل على ان مبنى هذا الشغب على ان المتاخرين ابتدعوا
النكات البديعية هذا فاسد في اصله فان جل هذه النكات بل كلها
الا ما شذ ماخوذة منهم وماثورة عنهم ونحن نعلم انه ما انحنت عيونهم

واوجبت جفونهم الاعدة نكات منها التورية وهذا الحماسي يقول

ولما نأت عنا العشيرة كلها ⁂ انخنا وحالفنا السيوف على الدهر

فما اسلمتنا عند كل كريهة ⁂ ولا نحن اغضينا الجفون على وتر

سبحان المانح ما ابلغ هذا الكلام وما افصح هذا النظام وهذه التورية
ما احلى نباتها واعذب فراتها ولو وقعت مثلها لاحد من العصابة النابتة
والرافعين للالوية الفاضلية لما عددناها الا غرة في جبين مفاخره و
عنوانا الصحيفة مآثره والمعنيان فيهما متساويان وقد اقترن الكلام
بقرينتين كل منهما تقرب بغير ما تقرب الاخرى وليس كما يقول متكلفة
اهل البديع من ان المعنى القريب هو جفون العين والمراد المعنى البعيد وهو
جفون السيوف وقد ذكر البديعيون للتورية شواهد كثيرة من الكتاب و
السنة واشعار القدماء ولكن الامر في بعضها لا يخلو عن خفاء والمقام لا
يسع لذلك ومنها التوجيه وعذر القدماء في تركه واضح لانهم ما كانوا
يتقنون الهندسة والحساب ولا يعرفون ما للارثماطيقي من الابواب ولا
يعرفونه اشد من ان يتوقع من الاعرابي الجاهل التوجيه بغوامض المسائل
ونحن نرى لهم من التوجيه بما كانوا يعرفونه من العلوم كالزجر والفال والقيافة

اشياء

اشياء كثيرة والغرض ان تركهم له ولامثاله لم يكن لزهدهم فيها بل كان
لعدم معرفتهم بها ولا شك عندنا لو ادركوا هذا العصر انهم لزينوا اشعارهم
بلطائف التوجيهات ومحاسن الاقتباسات فتامل هداك الله تعالى في كلام
الفريقين لتعلم اي الفريقين اولى بالمتقدمين واحب لديهم من ينسب
جل المفاخر والمحاسن اليهم ويسعى في تشييدها اسسه ويحسن اتباعهم
فيما اخترعوه ام هذا الصديق الجاهل الذي اتفق العقلاء على انه شر
من العدو العاقل فيسلبهم ثوب الفخار وينسب اليهم كل عيب وعار
هذا صنيع العمودي بالمتقدمين وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا واما قولهم
لا نسمي من فارق العمود شاعرا فهذا ايضا كلام صدر عن جهل وغباوة اذ
حقق اهل العلم ان الشعر هو الكلام الموزون مع القصد وفي اشتراط المعنى
خلاف وان كان شرطا فهو اضر عليهم فكل من تلبس به مقدار ما صدق عليه
لفظ الشاعر كما في سائر المشتقات شابه شعره شعر العرب ام لا وان كان المراد
انهم لا يسمونه شاعرا حسنا فان كان مرجعه الى انكار الحسن فيما ابتكره المتأخرون
فقد فرغنا عن جوابه فيما سبق وان كان غير ذلك ففساده ظاهر اذ لا شك في
ان كل من نظم الشعر الجيد الحسن فهو شاعر مجيد محسن في نظمه بالتسمية

مما لا يضر خصمهم وهل يضير بايع الدرة ان لا يسميه جوهرًا يا بايع البعرة على
انه بعد ما ثبت لهم الشعر الحسن الجيد فهم لا يتاسفون على لفظ الشاعر
اذ هم ليسوا كاهل العمود اهل الجمود يجمدون على الالفاظ اذ الشاعر مكروه عند عموم
الناس بل مذموم في الشرع ايضا وقد نقل الشيخ في الخلاف الاجماع على كراهة
نظم الشعر فليسمّ نظم المتاخرين بالكلام الجيد الحسن ويبقى لفظ الشعر
موفورًا عليهم مخصوصًا بهم فهم بعد تسميتهم محسنون الى المتاخرين حيث
لا يشعرون فضل وما بقي لهؤلاء الا شغب واحد وهو انكارهم مدخلية العلم
في حسن الشعر بدعوى ما نفيته عن نظم جيد الشعر قالوا ولهذا نرى اكثر الشعراء
المجيدين ليس من اهل العلم ونرى كثيرًا من اهل العلم ليس لهم نظم جيد و
هذا الاصمعي وابو عمرو ابن العلاء كانوا اعلم اهل زمانهما وشعرهما ينقص عن
معاصريهما من الشعراء وما نشأ هذا الكلام الا من فرط الجهل وقلة
العقل اذ فضل العلم لا ينكره الا جاهل وتوقف العمل على العلم لا يتوقف
فيه عاقل والجاهل وان اصاب فما له في مدح العقلاء نصيب لا يقال
له انت مع الخواطي سهم مصيب والعالم ان اصاب فله جزيل المدح والثنا
وان اخطا فهو معذور عند العقلاء ومن تكلف عملًا قبل اتقان علمه فقد

كلف

كلف نفسه شططًا وكان عاقبة امره فرطا وليس المراد توقف كل صنعة
على جميع العلوم اذ علم الطب لا يتوقف عليه استنباط الاحكام وعلم
الفقه لا يفيد في معالجة الاسقام ومعرفة قواعد الحياكة لا تفيد البناء
والعلم بقواعد البناء لا يجدي في تحسين الغناء بل المراد توقف كل
صنعة على معرفة علم تلك الصنعة فلا يرد النقض علينا بالفقهاء والحكماء
ولا بالاصمعي وابن العلاء اذ الاول فنه الرواية والثاني علمه العربية
والقراءة وايضا لا يفيد العلم الا من كان له ملكة الصنعة وكان قابلا
لتلك الحرفة فعلم الحرب لا يفيد الا الابطال ولا يغني عن ثبات الجنان
وقوة اليد يوم النزال وكما ان علم البناء لا يفيد الاشل لدى البنيان كذلك
لا يفيد من ليس له ملكة الشعر اتقانه لعلمي المعاني والبيان وكثير من
علماء البلاغة لم يكن له مدخل ملكة الشعر ومن كانت له تلك لم يتعاطى
النظم لاشتغاله بالعلم الذي هو اشرف وترفعه عن منزلة الشعراء وناهيك
شاهدًا على ذلك ما كتبه الى المحقق والده السعيد وهو مشهور وربما
يكون العالم له الشعر الجيد ولكنه يخفيه عن الناس ولا يكاد يذيعه وبالجملة
فالنقض انما يرد بعالم اختص بعلوم ذي ملكة تامة قد تعاطى النظم وقصر مع ذلك

نظمه عن عوام الشعراء وأنى لهم بإثبات ذلك وأما أهل العلم فيكفيهم في
ابطال دعوى خصمهم مثل ابن المعتز والشيخ صفي الدين وغيرهما فضل
قد عرفت أن الشعر عند المتأخرين ليس بأمر مغاير لما عرفت عند المتقدمين
ولا فرق إلا أن المتأخرين قد استحسنوا عدة من نكات المتقدمين فأكثروا منها
وظفروا ببعض محسنات الكلام على تطاول الأيام فألحقوها بها وأسقطوا
بعض ما كان مستعملا بينهم أما لعدم كونها مستحسنة في نفسها أو لعدم
ملائمتها لعاداتهم ومخالفتها لأحوال زمانهم وعرفت أيضا أن هذا لا
يختص بالشعر بل هو القياس المطرد في جميع الفنون والصنائع ولا ينقضي على
فن وصنعة مقدار من الزمان إلا وينقص منه ويزاد فيه ويختلف قواعده
باختلاف الأزمنة والبلاد وسيأتي زمان ينتقد أهله علينا كما انتقدنا
على من كان قبلنا ويتركون أمورا كانت عندنا حسنة ويرفعون عنها
نقائص فينا ويكملون نقائص ما ابتدعناه ويخترعون أضعاف ما اخترعنا
وذلك مما لا يسوءنا مثقال ذرة بل لنا بذلك الرضا والسرور كما أنا نعلم
أن الفحول المفلقين من المتقدمين لو عثروا على شعر الأرجاني ورأوا حسن ألفاظه
وتصرفاته في المعاني لقرت به عيونهم وثلجت به صدورهم وقابلوه بالتعظيم

والأجلال

والأجلال كما أنهم لو عثروا على شعرنا لاستحسنوه ولجازوه بصفع القذال
ونتف السبال وبالجملة الذي ينبغي للمتأخر أن يخالف فيه أكثر شعر المتقدمين
أمور نذكر المهم منها أولها استعمال الضرورات النحوية والتراكيب التي
ليست على المتعارف وإن كانت لها وجوه في العربية إذ لا يجوز للمتأخر
جميع ما جاز للمتقدم وهذا باب قد كفانا من كان قبلنا الكلام فيه ثانيها
استعمال الأوزان الشاذة والزحافات القبيحة بل الزحافات الجائزة التي هي
مكروهة في هذا الزمان والأوزان المتروكة فيه وإن كانت مستعملة عند
السابقين فيترك من البسيط مثلا العروض المجزوء المخبونة الحذاء وإن
وجد للعرب النظم عليها كقول الحماسي

* إن شواء ونشوة * وخبب البازل الأمون *

ويقتصر من زحاف نحو الطويل على القبض ويكف عن الكف بل
يترك قبض الجزء السباعي أيضا وإن حكم العروضيون بأنه صالح ويوجد
في شعر العرب كثيرا وصاحب السليقة المستقيمة إن سمع قول زهير
* أتعذر سلمى بالنوى أم ترومها * وسلمى فدى الذي التي لا ترومها *
وأدرك ثقله على كواهل الأسماع عرف أن قولنا أحرى بالاتباع وليعلم

ان الزحافات الغير القبيحة في الجملة يختلف حدها كثرة وقلة باختلاف
البحور فربما يكون حسنا قليله وكثيره كاضمار الكامل وربما يكون
اكثاره مستهجنا دون قليله كقبض الطويل والشاهد عليه قوله
" اتطلب من اسود بيشة دونه ؛ ابو مطر وعامر وابو سعد "
جميع اجزائه مقبوضة وقبح هذا البيت عند القوم بمجرد الاكثار وقد عرفت
ان فيه قبحا آخر على المختار وهو قبض السباعي مطلقا ويختلف ايضا باعتبار
اجزاء البيت فيكره اول الصدر والابتداء دون غيرهما كخبن السباعي
البسيط وربما يكون ترك الزحاف في جميع البيت مستقبحا كاول المنسرح
فانه يوجب الثقل فيه والمقام لا يسع تفصيل ذلك وانما الغرض تنبيه الناظم
المجيد كي لا يغتر باطلاق كلام العروضيين في حكمهم بحسن بعض الزحافات مطلقا
وقد بينت ذلك في شرح ارجوزة العروض المسمى بأداء المفروض وذلك
باب ما قرعه قبلي قارع وهضبة ما فرعها قبلي فارع فارجع الى ذلك الشرح
تنل منه المراد وسرح الطرف في خمائله تجدها نعم المراد وكذلك حكمهم بقبح زحاف
المزدوج فانه على الاطلاق ممنوع وقد بينت ذلك ايضا في الشرح المذكور
ثالثها استعمال الكلمات الغير المانوسة في هذا الزمان مما لا يفهم

الا بمراجعة كتب اللغة اذ لا خير في الشعر الذي لا يفهمه الجلاس الا بمراجعة
الفائق والاساس او يحتاج قائله الى ان يحمل كتاب المحيط او الغريب
لتفسير ما في شعره من الغريب وما نراه منه في شعر المطبوعين من المتقدمين
فالوجه فيه كون ذلك مانوسا لديهم ومتداولا عندهم ولابد على
الشاعر الا ان يلاحظ حال اهل عصره ولا يتجاوز المتعارف لدى ادباء
مصره نعم لا عذر لجماعة من المتاخرين في نظمهم الفاظا لا نجدها في
شعر المتقدمين عليهم كالشيخ ابي تمام حيث يقول   شعر
" اهيس اليس لجاء الى همم ؛ تغرق الاسد في آذيها الليلا "
وظاهر لدينا ان عصر مسكين الدارمي وعنترة العبسي متقدم عليه بكثير
ولا نرى مثل هذه الالفاظ في اشعارهم غالبا ثم انك ترى جماعة من ذوي
الطباع الغلاظ جعلوا وكدهم نظم غرائب الالفاظ حتى كانهم لم يعلموا
للشعر معنى سوى نظم الالفاظ الغريبة والكلمات العجيبة فخرجت دواوينهم
من عداد دواوين الشعر ودخلت في عداد كتب اللغة لكن من غير ترتيب
لا تهتدي بخير منها الصحاح والتهذيب لكونهما مبوبين مهذبين وبلغنا
عن الشاه ناصر الدين انه قال لاحد هؤلاء من شعراء الفرس ان الفرق بينك

وبين الشيخ سعدي ان الشيخ قد تكلم في سبعمائة سنة قبل هذا الزمان
بلسان هذا الزمان وانت قد تكلمت في هذا العصر بلسان تلك العصر
ومن الظريف ما نقله صاحب طبقات الأطباء وهو ان ابن الصيقلي المنسوب
بحيص بيص كتب الى امين الدولة ابن التلميذ ورقة يقصد فيها ان
ينفذ اليه شياف ابار وهي ازكنك ايها الطب اللبيب لا اسي النطاسي
النقيس النقريس ارجنبت عندك ام خنور وسكعت عنك ام هوبر انني
متاخذ اشعرني حنادر وطسا الين كالسيف شبوه ولا كتح المنفحة ولا
كنكز الحضب بل كسفع الترخيخ فانا من الشاشير الى الغباشير لا اعرف
ابن سيم من ابن جمير ولا الحسن صفوان من همام بل او بذار يحوق شاصيا
وفينا احبنطي مقلوليا وتارة اعرنزم وطورا اسلنقى كل ذلك اح و
اح وحش فنهم فرونتي ان ادفع عقيرتي ببعاطعاط الى هياط ومياط
وهالى اول واهون وجبار ودبار ومونس وعروبة شيار ولا احيص
ولا اكيص ولا اعرندي ولا اسرندي فتبادر باشياف الابار النافع
لعلتي الناقع لغلتي فلما قراها امين الدولة نهض لوقته واخذ حقنة
شياف وقال للتلميذ اوصله اياها عاجلا ولا تتكلف قراءة ورقة ثانية

هذا ولا يخفى ان المعتبر في كل عصر هو معلومية الالفاظ لدى علمائها
وادبائها وشهرتها بين فضلائها وشعرائها لا لهمج الرعاع الذين
ليسوا من اهل المعرفة والاطلاع والانصاف ان اهل العصر لم يعطوا
هذه اللغة الشريفة حقها من الحفظ وتسامحوا فيها حتى صارت مظنة
للطباع نفعت او انس الفاظها عندهم وحشية وكادت ان تذهب
بالكلية ومع ذلك كله لا يجوز للشاعر ان يتعدى المعروف المشهور تخفيفا
على السامعين وقطعا لألسن الحاسدين فاستعمال اللفظة العربية
الفصيحة وان كانت خالية عن تنافر الحروف وكانت خفيفة على الطباع
لذيذة في الاسماع فانه ليس عيبا فيما ارى في الشعر بل هو عيب في [illegible]
اهل العصر وكثير منها ما هو من اظهر شواهد الفرائد باصطلاح اهل العلم
فكان على المتاخرين ان يتبعوا تلك الفرائد ويزينوا بها ما ينظمون من
القلائد لتتم عقودهم بتلك اللئال ويتسع على من بعدهم المجال و
كم في هذه اللغة المباركة من الالفاظ فصيحة مهجورة وكلمات مليحة غير مشهورة
تعين الشاعر على نظم معان طريفة ويتاتى فيها صنائع لطيفة لو نظمها
العالم بها لعابه جهلة الزمان وتناولته الالسن من كل مكان فالتجئوا حذرا

حذراً عن ذلك الى ابداع نفائس التجنيس والتورية في ضمن الفاظ خسيسة عامية
واصطلاحات سوقية ومن الغبن ان تشتهر الهندوانيات وتكون السيوف
الدرية غير مشهورة مع ما فيها من حسن المأخذ وبديع التصرف فانها نسبة
الى ما فيها من الفرند وهي نسبة لطيفة بعد استعارة لفظ الدر لها فهي كلمة
مفردة تقوم مقام جملة واما نسبة الهندواني فانه من نسبة الشيء الى
صانعه او محل صناعته وهي نسبة عامية شائعة كنسبة النعال الحضرمية
نعم لا ريب في قبح استعمال الالفاظ الكريهة منها كاسماء اللبن الخاثر
وهي عثلط وعكلط وعجلط ونحو ذلك ولكن هذا لا يختص بها بل في
الفاظ المشهورة ما هي كذلك وما لفظ مستهجن في الثقل الا كمستشزر
لكن الحظ قد غطى على مستعمليه كالبحتري وغيره ولم يساعد امرء القيس
فنعي عليه قوله غدائره مستشزرات الى العلى حتى جعله علماء المعاني
اعظم شواهد التنافر في الكلمة وليعلم ان ما اوجبناه على الشعراء من
الاحتراز عن هذه الامور مختص بما اذا كان الغرض من الشعر الحسن والاجادة
في النظم وعما اذا لم يتوقف عليها نظم معنى مخترع حسن او الاتيان بصنعة
بديعة فلا بأس بها اذا كان الغرض امتحان الخاطر او بيان القدرة او غير

ذلك مثل ما يصنع للالغاز او الامتحان كقول القائل

انا انت الضاربي انت اناه ومن ابيات المعاياة في علم العروض وكقوله
رجل عكة نسل رجلاه ⁂ وسرق الذي كان في عمامة احوصاما
كما انه لا بأس بها اذا لم يتمكن من نظم ما سنح له من المعاني اللطيفة والنكات
الطريفة الا باستعمال بعض الامور المذكورة والوجه فيه ما تقرر انشاء
ان القبيح القليل يغتفر فيه من اجل الحسن الكثير وان الشعر الحسن ما زادت
محسناته على مقبحاته لا خصوص ما فيه الحسن وليس فيه قبيح اصلاً ومنها
الافراط في ذكر الاماكن والبلاد فان لبلاد العرب اسماء كثيرة كادت
ان تزيد عددها على عدد اشبار مساحتها

شعرا

مهامها وخروقا لا انيس بها ⁂ الا الضوابح والاصداء والبوم
وهم مولعون بذكرها في اشعارهم ولهم العذر في ذلك لان لهم في تلك
الاماكن اياما من الوقايع والحروب ومفارقة صاحب ووداع محبوب دون
المتأخرين الذين لا يعرفون تلك الاراضي والجبال ولا يتعلق لهم غرض بذلك
في حال من الاحوال

قال ابن مقبل

يا دار كبشة تلك لم تتغير ⁂ بجنوب ذي خشب فحزم عصنصر

فهل ترى احداً من ذوي الطباع المستقيمة ممن لا يعرف موقع ذي خشب
كحي يعرف جنوبه ولم يفارق فيه محبوبه ان يرتاح لهذا البيت وامثاله
او يحب ان ينسج على منواله وقال عروة ابن الورد

عفت بعدنا من ام حسان غضور ❊ وفي الرمل منها اية لا تغير
وبالغر والغراء منها منازل ❊ وحول الصفا من اهلها متدور

ويحصل هذا الشعر ان لام حسان ابيات احداهما في غضور وهو عافية و
اخرى في الرمل وهي باقية وبالغر والغراء لها منازل وكذلك حول
الصفا فهذه الشاعر يعيد في هذا النظم لمعرفته تلك الاماكن ومعرفته
حسن ام حسان وجمالها دون المتاخر الذي لا يعرفها ولا يميز منازلها
وقال ابو دهبل يخاطب ناقته ويرثي لغيره

حنت فما عليك ان تحنى ❊ ودون اليك رحى الحزن
وعرض السماوة القسون ❊ والرمل من عالج المبعون
ودعن سلمى ولبا الاخشن ❊ ثم غدت وهي تنال منى
جاعلة الغوير كالمجن ❊ وحارثا في الجانب الايمن
عامدة ارض بني الهن



عقرت تلك الناقة الملعونة الواخدة في تلك الاراضي المجهولة
القاصدة تلك الطائفة المشؤمة وبالجملة فعلى هؤلاء ان يصفوا
بلادهم القاحلة واراضيهم الماحلة وعلى سكنة الارياف ان يصفوا
ما في بلادهم من الاماكن اللطيفة والمتنزهات الظريفة اذا تعلقت
اغراضهم بذلك ولا يتعدى عنها الا الى البلاد التي اسمائها عذبة
مشهورة كحاجر وسلع ونحوهما اذا توقف نظم معنى حسن عليهما او لطافة
التورية ونحوها فيهما كما لا يخفى شواهد ذلك على المتتبع في اشعار
المتاخرين كما في قول ابن نباتة فانه لا منع عليه بل ذلك مما يزيد
الشعر حلاوة وطلاوة اذ لا يبعد ان يصدق عليه حل الفرائد فحج اصطلاح
البديع بعين خاصها البكاء على الدمن والاطلال والالحاح عليها
في السؤال وبيان استعجامها وخلائها وتغيرها وعفائها وما جرى
عليها من الرياح الانواء وما اشتملت عليه من بعر الظباء والدعاء
لها بسقيا الامطار والتشكي في العذال على الوقوف في الديار ونحو
ذلك مما شغل اكثر شعر المتقدمين ومقلديهم من المتاخرين فانها معان
تكررت على الاسماع حتى ملتها الطباع واذا تاملت في الشعر المشتمل على

عقز

هذه الامور وجدت المستفاد منه معنى واحدا وهو ان امراة كان لها منزل ارتحلت
عنه الى حيث ال وعفت رسوم لها الا آثار تلوح لمن تامل ونحو ذلك من المعاني
التي ان لم تمجها الاسماع بالمرة فلا تتحملها اكثر من مرة وانما تكثر القصائد وتؤلف
الدواوين بفرضها تارة بالغور وتارة في نجد ومنسوبة طورا الى الهند وطورا
الى دعد وبعين المكان تارة وتارة يقال انه بين موضعين كحاجر ولعلع
او بين مواضع ثلاثة كقوله

بين الشقيقة فاللوى فالاجرع ۞ فان عفى ذو حسم فرتنى فالاجارع

فالاجلادع تكون مطلع قصيدة نابغة بني ذبيان او بني الجعد وان عفت بعد
من ام حسان غضون يكون مستهل قصيدة عروة ابن الورد والطباع مجبولة
على معاداة الحديث المعاد ان لم يكن فيه زيادة في المعنى المستفاد ولست
انهى عن هذه الامور وامنع من استعمالها في الشعر بتة وان كان ذلك مذهب
جماعة من المتاخرين واول من جنى عليهم على سد هذه الابواب في الشعر الحسن ابن
هانئ فيما اعلم بل اقول انها ابواب للشعر كالمدح والهجا لا يكتفى فيها ببيان
هذه الموضوعات من غير ان تخترع فيها معاني حسنة ونكات مستحسنة فكما
لا يكفي عند البلغاء في المدح والهجاء قولك ان فلانا رجل لئيم او ان ابوه

الصريم رجل اسمه عمرو وهو كريم بل هما موضعان للمدح والهجا وليس
المدح والهجا الا ما يؤتى به من المعاني والنكات عند ارادة مدح
هذا وهجو ذاك كذلك هذه الابواب فلا يكفي فيها قولك ان في منقطع
الرمل من يبرين عدة اطلال وقفت عليها ولامني العذال ونحو ذلك
مما يدور امرها بين ان يكون من الاكاذيب الباردة او القضايا الصادقة
التي ليست فيها فائدة ولا يعد من الشعر الجيد الا ما ياتي به الشاعر من
المعاني الطريفة والنكات اللطيفة عند الوقوف على الديار ومخاطبة
النوى والاحجار ونحو ذلك فعلى المتاخر ان لا يكتفي عند ارادة شيء
من ذلك على بيان هذه الموضوعات وما ياتي فيها من الاوصاف والمعاني
العامية التي لا تعصى على احد بل يقف كوقوف ابي الطيب في قوله

بليت بلى الاطلال ان لم اقف بها ۞ وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

ولا يصف عفاء الديار الا بمثل قول القائل

ولما رايت الجسم والربع شكلا ۞ عفاء سالت الركب ايهما حبي

ولا يجمع بين الوقوف والسؤال الا كقول من قال

فمن واقف في جفنه الدمع واقف ۞ ومن سائل عن جفنه الدمع سائل

الى غير ذلك مما لا يخفى على المتتبع في اشعار المتاخرين وان كنت لا اخصهم
بهذه الفضيلة بل للمتقدمين في ذلك معانٍ جليلة ولكن معاني المتاخرين
الطف واكثر شعر الاقدمين في ذلك في القسم الاول ما اشبه ان كرر
الطيف والخيال والحال فيه كما مر في السابق عليه تنبيها كما قال ابن النبيه

• يا نار اشواقي الا تخمدي ⁂ لعل ضيف الطيف ان يهتدي •

لا كما قال السروجي

يا حسن طيف من خيالك زارني ⁂ من فرحتي بلقاه ما حققته •
فمضى وفي قلبي عليه حسرة ⁂ لو كان يمكنني الرقاد لحقته •

وكما قال البحتري

• خيال يعتريني في المنام ⁂ لسكرى اللحظ فاتنة القوام •

فان هذا الخيال الذي اعترى باعتباره يعتري غالب الغرائب لكن اعلاهم
يعبر عنه باحسن هذه العبارة وكلها فانه اهون من قوله

• ولا وصل الا ان يطوف خيالها ⁂ بنا تحت جوشوش من الليل المقنع •

وما قدر هذا المعنى الذي لا يعجز ابتذال العوام عن مثله حتى تتحمل الاذان
ثقل لفظ جوشوش لاجله على امر ما لا انكر فضله واستعذب قوله

قوله

• اذا انتزعته من يدي انتباهة ⁂ ظننت حبيبا راح مني او غدا •
• ولم ار مثلينا ولا مثل شاننا ⁂ نعذب ايقاظا وننعم هجدا •

بل اقول تادبا بالفضل لمن تقدم ولكن في النفس ما الله به اعلم والطيف
هو الحكم فان الراعي جعله غولا حيث قال

• طاف الخيال باصحابي فقلت لهم ⁂ اذلك ليلى انت ليلا ام الغول •

وطرد جرير في بيته المعروف وقد ترحب به المتاخر وجعله بدل لفظ
نوره تراه مقلة النائم قال ابن العفيف

• يا حبذا طيفك من قادم ⁂ يا احسن العالم في العالم •
• بدر تجلى نوره ساطعا ⁂ حتى رأته مقلة النائم •

ومما ذكرنا في هذين الامرين يعرف الحال فيما ولع به المتقدمون من
تعداد اسامي السباسب والنجائب وسيرها بالحبائب ونحو ذلك
سابعها وهو اهمها الاكتفاء بالمعاني المبتذلة والتشبيهات العامية
والنكات المبتذلة فان المعاني والاغراض المستعملة في الصدر الاول
كانت تلك المعاني والاغراض العامية التي كانوا يتكلمون بها حتى انه
لم يكن فرق بين ما يتكلم به البدوي مع راعي ابله وحالبي غنمه وبين شعره

الا بمجرد الوزن كقول التميمي

هما ابلان فيهما ما علمتم ❊ فادوهما ان شئتم ان تسالما

وان شئتم القحتم ونتجتم ❊ وان شئتم عينا بعين كما هما

حتى ان من الشعر المنقول ما يشك في كونه شعرا اذ لا يعلم انه قصد ذلك
وان اتفق انطباقه على بعض الاوزان كقوله

لا تفسدوا ابالكم ❊ ايما لنا ايما لكم

وقوله

يا ليت انى سبعا فى غنم ❊ والخرج منى فوق كراز اجم

ثم استعملوا في الشعر التشبيهات والنكات والمعاني الشعرية ولكنها
كانت قريبة من المعاني الاولية بحيث لا يبعدها الا قليلا ثم لم تزل
المعاني تزداد دقة وجلاء والتشبيهات رونقا وطلاوة وذلك لما
عرفت من كون ذلك مقتضى كرور الاعصار على كل صنعة وفن وتنقل كل
منها في كل قرن عن حسن الى احسن ويساعد ذلك اختلاط العرب الى
البلاد المتمدنة واطلاعهم على ما للفرس من المعاني المستحسنة حتى
غدت المعاني المالوفة عند المتقدمين وحشية عند المتاخرين وكادت ان

ترفع

ترفع المشاركة من البين وينطق لسان الشعر بانه لا يرى الفريقين
فانك لو سمعت قول القائل

ويكاد يقرأ من صفاء خدوده ❊ ما مر تحت الخد من الفاظه

علمت يقينا بان قائله ليس من الجاهليين ولا من المخضرمين بل لا
يعترضك الشك في ان قائله متاخر عن القرن الثالث وان شعراء
الاعصار السابقة عليه ما كانوا يهتدون الى مثله فعلى الشاعر
ان يعلم اولا ان المعاني هي المطلوبة من الكلام وهي المحسنة لذاتها و
الالفاظ محسنة لها بالعرض ولا تطلب الا لاجل معانيها كما قال الشيخ شعر

انظر تجد صور الالفاظ واحدة ❊ وانما المعاني تحسن الصور

ثم يتطلب من المعاني الدقيقة الجليلة ما يكون دون الفلسفة في الكلام
وفوق ما تصل اليه افكار العوام ولا يزهده في ذلك ما قاله بعض الاوائل
واظنه ابا عمرو ابن العلاء من ان خير الشعر ما فهمته العوام فانه حق في
الشعر المصنوع في عصره وما قبله من الاعصار حيث كانت المعاني غريزية
عامية اذ عدم فهمهم للشعر الذي معناه من معانيهم لا يكون الا لعقادة
التركيب ونحوه من عيوب الكلام واما عدم فهمهم للشعر اذا كان لجلالة

معناه واشتماله على دقائق ونكات لا تصل اليه افهامهم فهو غير
مرخص لشعره بل كاشف عن جلالة قدره ولو قيل الا ان شر الشعر
ما فهمه العوام او ان خير الشعر ما لا يفهمه غالب الناس وان لم يصح بوجه
كلي فلا شك انه قريب جدا الى الصواب ومطابق للقياس فانك لو رايت
متكلما مجيدا او جاريته في مقاصد المتغازلين ولم يتمكن من افهامهم حملته
على العي وقبح البيان دون ما اذا تكلم في دقائق العلوم وحاول اثباتها
بالبرهان ومتى رايت في المتاخرين من ينتحل الادب وهو يميل الى
هذا المذهب فحكمه حكم العوام بل هو منهم وان امتاز بالدعوى والزي
عنهم وبالجملة فالمتبع في كل فن وصنعة علماء ذلك الفن وارباب
تلك الصنعة ولا عبرة بالعوام مطلقا ولا بعلماء غير ذلك العصر
نعم لا بد للشاعر ان يلاحظ مواقع نظمه ويخاطب كل احد بعقله وفهمه
ولا يكلف ربما فوق علمه فتفوته المقاصد وتذهب ضياعا ما يصنعه من القصائد
فخالف شرايع الادب جائزة اذا كان الغرض من الشعر صرف الجائزة
او نحوها من الاغراض المتنوعة فان الشاعر في عصره هذا ابن ربيعة وهو على
ما يظهر من غالب ابياته من شعره من مجيدي شعراء عصره ومع ذلك ترى

اكثر شعره قد تجاوز حد الرقة بل بلغ اقصى غايات الركة وفيه من
التانث ما لا يليق الا بربات الحجال ويستحي من روايته فحول الرجال
وما ذاك الا لانه كان يقصد من شعره افهام الغواني الكواعب و
التوصل بذلك الى ما له عندهن من المآرب فتراه يقول

من عاشق كلف الفؤاد متيم ٭ يهدي السلام الى المليحة كلثم

ولا شك انه لو مدح هذه المليحة كلثم بقصيدة تشتمل على الفاظ
ابن هاني ومعاني الارجاني ما كانت تعجبه اصلا وما كانت تمنحه
بعد الصدود وصلا ولكن لهذا البيت عندها من الاستحسان
موقع ليس لقول المتنبي

ازورهم وسواد الليل يشفع لي ٭ وانثني وبياض الصبح يغري بي

عند علماء البديع والبيان هذا واياك ان تشغلك المعاني والنكات
الحسان عن محاسن الالفاظ فيفوتك من الحسن احد شطريه او يسري قبح
اللفظ الى المعنى فلا يلتفت ادباء اليه والمعاني واكثر النكات
يشترك فيها جميع الامم من العرب والعجم وتلحق في الفاظ فارسية كما
تاتي في كلمات عربية فاين فضل هذه اللغة التي شرف الله قدرها

واعلى في الدارين امرها هذا وبقيت امور اخر صفحنا عن ذكرها
ضيق المجال وبالقياس على هذه الامور السبعة يظهر للمتامل حقيقة
الحال وقد عن لي ان اثبت هنا قصيدة المخلب الهلالي وهي من مشهور
شعرهم ومن احسنه عندهم حتى انه على ما قالوا ليس على وجه الارض بدوي
الا وهو يحفظها وذلك لما فيها من الشواهد على اكثر ما ادعيناه في هذه
الرسالة وان كان شرطنا فيها ترك الاطالة وهي هذه

وجدت بها وجد الذي ضل نضوه ٭ بمكة يوما والرفاق نزول
بغى ما بغى حتى اتى الليل دونه ٭ وريح تعلت بالتراب جعول
الى صاحبيه بعد ما ضل عيسه ٭ بحيث تلاقت عامر وسلول
فقال احملا رحلي ورحليكما معا ٭ فقالا له كل السفاه تقول
فقال احملاني واتركا الرحل انه ٭ بمهلكة والعاقبات تدول
فقالا معاذ الله واسترعيتها ٭ ورحليهما عيرانة وذمول
فشكا من خليليه الجفاء ونقده ٭ اذا قام يبتاع الركاب قليل
فبيناه يشري رحله قال قائل ٭ لمن جمل رخو الملاط ذلول
محلى باطراق عتاق تزينه ٭ اهلة جن بينهن فصول

فهلهل حينا ثم راح بنضوه ٭ وقد حان من شمس النهار افول
فما تم قرن الشمس حتى اناخه ٭ بقرن وللمستعجلات دليل
فلما طوى الشخصين وازور منهما ٭ وواطنه بالنقر وهو ذلول
فقاما الى الحران الشباب كلاهما ٭ لما قد اسرا بالخليل قبيل
فقال ارفعا رحليكما وترفعا ٭ فما الاداوى بالغلاة قليل

وهذه القصيدة وان جعلها ابو محمد الاعرابي ضالة الاديب فما للناطق
فيها حظ ولا نصيب سوى الاطلاع على قصة كاذبة باردة كثيرا ما يقع
امثالها ولا يعتني بها العلية الفائدة ولكنه ادرجها من هذه المسكينة
التي تشبب بها في هذا الشعر لانها لم تستفد شيئا من وصف حسنها
وجمالها ولا الشكوى من فراقها والشوق الحاصل لها على ما جرت عليه
سنن العشاق بل قنع عن جميع ذلك بما ذكره في بعض الشطر الاول ثم
شغله عنها وصف النضو وما له من الاطواق العتاق وانا ايها الاديب
المنصف انشدك وذمام الادب الا ان تراجع بعد ذلك قصيدة للفاضي
الارجاني على وزن هذه وقافيتها اولها

جمال ولكن ابن منك جميل ٭ وحسن واحسان الحسان قليل

وهي من اوسط قصائده وان لم تكن من اردى شعره فما هي من قلائده وان
فعلت ذلك وظهر لك ان بيتا واحدا منها وهو قوله

يبيت لها قلبي وطرفك والصبا ⁂ جميعا وكل يا اميم عليل

خير من جميع هذه البديعة واخواتها وما فيها من اوصاف نياقها وفلواتها
علمت يقينا ولا اظنك تبعد في شك منها صحة ما عرفناك من البون البعيد
بين ما كان عليه الشعر في الزمان القديم وما هو عليه في هذا الزمان
والفرق الواضح بين ما يستحسن عند اهل البادية وما يرغب اليه قاطنوا
البلدان فصل وكما نبهناك على ما ينبغي ان تعاير فيه المتقدمين
فانا نحذرك عن تكلفات جماعة من المتاخرين فان ولوعهم بعده من
المحاسن الجديدة شغلهم عن المحاسن القديمة وحاد بهم عن الطريقة القويمة
فترى بهم عن استحكام الصنعة وفصيح الالفاظ بمعزل وينشد لسان حالهم
ولكن برسم دارس من معول فترى احدهم يترك اللازم من اقسام الانسلاك في
التفصيل وتشابه الاطراف فهو ليس بشاعر الا اذا ظفر منه اليدان بلفظ
له معنيان او وقعت منه العين على لفظين متجانسين ومثله لا يتقدم على
التصرف في فنون الكلام ويحصر اقتداره في ان يتفق له تورية او استخدام

والشاعر من كانت المعاني طوع يديه والالفاظ منقادة لديه وهذا تلعب به
الالفاظ وتذهب به حيث شاءت ويرضى بها كيف جاءت حسنت
او ساءت وهؤلاء قوم افلتوا من شباك التحرز ووقعوا في شرك التكلف
فبنوا ابياتا بنيت على شفا جرف هار وكلمات خبيثة كشجرة اجتثت
من فوق الارض ما لها من قرار يتركون الواجب لاجل المندوب ولا
ياتون بتجنيس واحد الا في ضمن ضروب من العيوب ولا تسمع لهم الا
ما نضب ماؤه وذهب رونقه وبهاؤه وان اشتمل على محسنات معدودة
فما هي الا كفضة على ملحود ومن ارتكب تكلفات كثيرة لاجل تورية حقيرة
او قاده حب التجنيس الى كل معنى خسيس حتى قال

ولما وردنا ماء مدين قال لي ⁂ وحق شعيب انت في الحب اشعب

او يقول

ولم ير قان مثل ذي يرقان ⁂ ومن يشم البرق وهو عليه شوم

فقاضي العلم لا يحكم عليه الا بالصفاقة وشهود الادب لا تشهد [illegible]
عليه الا بالوقاحة ومن شغلته دقائق المعاني عن تحسين الالفاظ
وتحكيم المباني تذكر في شعره ما يفوق على ما ذكره افلاطون في ملتقطاته

والشيخ في اشاراته فهو دعي في انتسابه الى اهل الادب وليس بينه
وبينهم نسب ولا سبب مثالب هؤلاء اكثر من اهل العمود وشعرهم
اولى بالجمود بل هو الجلمود وفيما ذكره المولى الاخ في الكتاب ما يغني عن
الاسهاب وقد الصناب الاطناب وانت اعزك الله ان سئلت في شرع
الشعر عن خير مذاهبه وطلبت اماما تأتم به في مندوب النظم وواجبه
فعليك بجامع الالفاظ والمعاني والاقتداء بالقاضي الارجاني
لكن مع ملاحظة تفاوت العصر من ترك الفاظ هي في زماننا وحشيه
والاكثار مما اشتهر بعده من النكات البديعيه هذا وقد آن ان نتلو
عليك ايات الكتاب المبين لتزداد بصيرة وتكون من الموقنين في نزغ
عن متشابهات الحجاب بايات محكمات هن ام الكتاب وتأولت متشابهاتها
بمحكماته ونوضح الامر فيه لمن لم يدرك لطف اشاراته ولم يفهم غوامض عباراته
ونشرحه بل نشرح به الصدور ونجلو عرائس نصوصها على منصة الظهور
ليعلم المنصف اني لا افرغ الا عن لسانه ولا اكتب الا عن بنانه وتبين
المحجة لمن اراد قصد السبيل وواضح السنة وتتم الحجة على الذين في قلوبهم
زيغ يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة فاقول ادام الله بقاه ولا اراني



يوما لا اراه كتابي اليك ايها الشيخ الامام الاستاد لا علمك غير منتبه
بل منبه عن سنة الغفلة عادل عن الطريقة الجائر ولولا الهادي
ما اهتدينا الى الجادة العدل لم نهتد بل هاد الى واضح المحجة بابلغ حجة
وحاشاي اديبا يتخطى عن الطريقة الوسطى التي هي بين تفريط المتحررين و
افراط المتكلفين وقد نبهناك عليها وارشدناك اليها ونبهناك على
انها الجامعة لمحاسن المتقدمين والمتاخرين والفائقة لمعرفة العمود بين و
تكلف المتكلفين وبعيد عن ذي الطبع المستقيم والذهن السليم ان يبعد
عن الانصاف الذي هو احسن الاوصاف ليقرب الى الاعتساف ويؤثر
الوفاق على الخلاف ومما يحق الحق ويبطل الباطل ويقر عين الموافق ويرغم انف
المجادل قوله لانك ايها المنصف اذا نظرت الى القصيدة وجدتها
كالخريدة لكل حسن معنات وتجمل بالعرض وجمال بالذات فان
الطرائق في الثناء على القصيدة وان كان لعين الرضا ولكنه نصل للقضا
اذ ما احسنها حلى البديع الا لكونه حضرية بيضاء لا بدوية سوداء ولو
كانت من الخرائد القديمة ما احسنها الحلى ان الحلى على الشواهد الدميمه
لا ترفع لها قيمه وقلت هذا ابلغ في حلل الحضارة لانها شاهد عليها دو

ونقصان وما كانت تقبل لو كانت حيزبون لم يسا كنات الدهناء او الحلل
على العجوز السوداء لو تلبسها حلة حسن وبهاء واما قوله ادام الله بقاءه
والشعر لو كان معلول النظام خفض قدره وسم بوصم لو ترفعه تورية
ولا استخدام واذا كان واهي الاسلوب يفتره الاقتباس ولا يجديه
الجناس واذا كان نابيت في اجوافها الروح فلا يثقل موازينه التمليح والتلميح
فبيانه ما نبهناك سابقا من ان للكلام كما ان له محسنات لا يحسن الا بها
فكذلك له مقبحات يعرض عليها فقولنا ان الجناس والطباق والمزاوجة
والاتفاق من المحسنات البديعية حكما بالحسن الفعلي لكل كلام فيه شيء من ذلك
بل لذلك شروط بعد مقبحات تزيد على تلك المحسنات وليس قولنا هي
يحسن في الكلام التورية والاستخدام الا كقولك يحسن في الانسان الشنب
في الثغر والفلج في الاسنان فكما لا نحكم بحسن جارية شنباء لو كانت سوداء
عمياء ولا تسمى العجوز الشمطاء حسناء ولو كانت على وجنتها السوداء شامة
خضراء كذلك لا نحكم بالحسن على بيت رديء السبك واهي النسج قبيح
اللفظ ساقط المعنى بمجرد جناس بين لفظيه وتشابه بين طرفيه نعم لنا
ان نقول هذا البيت القبيح فيه تورية حسنة او ان مراعاة النظير فيه

لو كان في بيت حسن لكانت مستحسنة كما ان لك ان تقول ما احسن هذه
الشامة الخضراء لو كانت في وجنة حمراء لجارية بيضاء او هذا الحاجب
حسن وان كان في وجه كثير المعائب واما الحكم بالحسن الفعلي في
وفي جميع مظاهر الحسن لا يكون الا بوجود عدة من معظم المحسنات مع الخلو
عن المقبحات اصلا ولا اقل مع زيادة المحسنات عليها بحسب القوة ثم ان ما للكلام
من المقبحات منها ما هو جزئية يمكن ان يتصف بالحسن اذا عارضها محسنات
هي اقوى منها ومنها ما هي بمنزلة ما للاعضاء من الافات فكما لا يميل الطبع
الى شيخ اعمى اشل اعرج وان كان ذا حاجب من بج وثغر مفلج كذلك لا يميل
الطبع الى الكلام الا مع خلوه عن هذا القسم من المقبحات التي هي بعد عدم
وجود شرائط البلاغة فيه امور كثيرة والاجمال فيه الامران اللذان
نبهنا عليهما وهما التعجرف والتكلف وقد حسن بيا المولى الاخ الا ان قوله
واذ خلا من معنى مخترع وامر مبتدع . مما لا يمكن التزام بظاهره اذ الاختراع
مما لا يقع للشاعر الا قليلا وشرائطه فحسن الشعر موجب لخروج اكثر اشعار
المتقدمين والمتاخرين عن حريم الحسن والاجادة وهذا الشرط على العود من
الاكثر ضررا واعظم خطرا فلا بد ان يكون المراد الاختراع بغير معناه الاصطلاحي

او ان المراد الخلو منه، وكل من مع ذلك من المتاخرين صفرا من حسن الاسلوب الاخذ
بمجامع القلوب خاليا فقراه فانه لا يرفع لبديع الامر الا لاجل الاختراع او نحوه
واذا خلا الكلام من هذه الامور الثلاثة كان ساقطا فليتامل وكذلك قوله
لم يقم صدره ببديع اذ الاختراع من اعظم نكات البديع وكل حسن الاسلوب لانه
راجع الى بعض الانشاء وفيه المذكورة في فنه واما الثالثة فهي من المتشابهات
لا نعلم المراد منها الذي انها هل يرجع الى احدى نكات البديع ام لا فلا بد
ان يكون المراد غيرها من البديع او خصوص واحد منه من المحسنات كما يرشد
اليه ما اشار به في قوله ومن حلاه بهذا الخال و زينه وهو سبيل الخلا لكان
كمن حلى العنكر بالدرر والكرب بالذهب ورخيص العود بثمين العقود وطوق
عنق الجرادة لو كان له فلك بابهى قلادة وكسى النعاج حلل الديباج والبس
حبيبين من الوشي حلتين ولكن يتحقق ذلك بما اذا تجاوز الحد وكان في الكلام
بمنزلة العيوب التي مثلنا بها في الجسد اما القليل منه فقد يتسامح فيه
اذا توقف نظم معنى مخترع عليه او دعت الضرورة اليه وكثيرا ما لا يتاتى
المعاني في الجيدة والتشبيهات الحسنة الا مع بعض الفاظ ساقطة وقوافي
غير متمكنة ولا يمكن نظم المعنى الجليل الا بتكلف قليل فلا نرى للشاعر ان يرفع

اليد عن المعاني اللطيفة والنكات الطريفة لادنى تكلف ونحوه كما
انا لا نسمح له ان يتكلف لك لاي معنى عرض وتشبيه سنح والقول الكلي
في ذلك هو ان زاد حسن ما قصد نظمه على القبح الذي لا بد منه فلا باس
به وان رجح قبح التكلف على حسن المعنى المقصود فترك نظمه هو الارجح ولما
موارده مما لا يمكن بقول كلي فهو موكول الى تامل الناظم وحكم ارباب
الخبرة والبصيرة والوجه فيه هو ما عرفت سابقا من ان القبح القليل
يتسامح فيه اذا كان في ضمن الحسن الكثير ومن اراد الاقتصار في النظم على الشعر
المشتمل على الحسن المطلوب الخالي من جميع العيوب فقد رام صعبا البتة ولم
يتمكن طول عمره الا على نظم ابيات اربعة او ستة ومن تامل في محاسن الشعراء
المجيدين من المتقدمين والمتاخرين فلم يقع طرفه على بيت الا وفيه موضع للو
ولليت واصعب من ذلك ما لو حاول جمع ما للمحاسن من الفنون فانه من الممتنع
الذي لا يكون اذ الرقة والقوة صفتان متنافيتان وهما متضادتان في مسلك
البديع او المحسنات والحضانة في كل منهما احسن ولا يكادان يجتمعان ولا يختص
بالشعر هذا الخلل بل هي عامة في جميع مظاهر الحسن والجمال ففي الثوب المصبوغ
محاسن لا يعقل ان يوجد في المرقوق وبالعكس وللسمر الهاذيل محاسن لا توجد

في البيض الحسان وبالعكس ولا تكاد ترى جارية حسناء الا وفيها معايب
معدودة وجهات للحسن مفقودة بل لم نسمع بخلاف ذلك الا ما يقوله علماء
التاريخ من امر شيرين حظية ابرويز فظهر من ذلك ان اعتراض العموديين
على الشعر المبني على الرقة بانه ليس فيه متانة والذي على مسلك الحضارة
بانه ما فيه بداوة ناش من فرط الجهل والغباوة وما هو الا كالاعتراض
على الثوب المطلوب لرقته بانه ما فيه صفاقة فليس للشاعر ان يعري البيت
عن جميع المحاسن المعنوية واللفظية ويقنع بخلو الشعر عن صنوف العيوب
فيدخل شعره في عداد كلام العوام ولا ان يتكلف الجمع بين جميع ما للحسن من
الاقسام ولا ان يقتصر على فن واحد فيفوته ثمرات باقي الفوائد فان
الشعر بستان يحسن ان يكون فيه صنوف الاشجار والثمار وضروب الازهار
والانوار فينبغي ان نصرف الهمم تارة نحو المعاني فياتي منها بالعجائب ويوجه
الفكر تارة نحو الالفاظ والنكات فياخذ من الحسن بجميع اطرافه ويأتي
منه بجميع اصنافه والاديب يشتكي ممن لا همة له الا الجناس بين اللفظين و
الطباق بين اثنين والجمع بين مثلين كما انه يشتكي ممن لا هم له الا ذكر الدمن
والاطلال ووصف النياق والجمال همه مقصور على الالفاظ وليس له

عناية بمليح المعاني ولا انتقاد لفصيح المباني ولا التفات الى حسن السبك
والتاليف ومتانة النظم والترصيف ولا مراعات للنظائر ولا التفات
الى النوادر ولا اقتباس من كلام رب العالمين ولا عقد لاحاديث ا
المعصومين ولا توجيه بمسائل العلوم ولا تلميح الى خبر معلوم وغير
ذلك مما هو مسطور في كتب الفن او غير مذكور فيها ولكن يعرفه الخبير
وان كان غير اهل العلم لا يحسن عنه التعبير ويدركه بالذوق والعرفان
وان كان يضيق عنه البيان واما قوله وما معجز احمد وذكرى حبيب الخ
بما انت اعلم به من جمال المعاني وحسن الاساليب لا بالزخارف اللفظية
والمحسنات البديعية فمما يظن اهل العمود انه شاهد لهم فيطيرون به فرحا
واولى لهم ان يموتوا به ترحا فان المتنبي وابا تمام امام مذهب البديع
الذي يعيبهما الايتام وقد سمعت في هذه الرسالة كلام اهل العمود
فيهما وثلبهم لهما ودفاعنا عنهما وما صنفنا هذه الرسالة الا لاحياء
طريقتهما والزام الناس بالتدين بشريعتهما وما امتاز شعرهما من بين
شعر معاصريهما الا لاشتماله على محاسن البديع فلا بد من ان يكون المراد
من المحاسن البديعية النكات التي لا يعبأ بها كالتفصيل ونحوه مما عرفت

تفصيله كما عرفت يدل عليه قوله دام ظله لا بالزخاريف اللفظية الا ان
يكون المراد مثل التجنيس الذي من احسن شواهده قول ابي تمام شعر
يمدون من ايد عواص عواصم ٭ تصول باسياف قواض قواضب
الى غير ذلك مما لا داعي الى ذكره لبعد كون مذهبه في الجناس معلوما
عند جميع الناس وهو اعظم ما ينعى عليه المتوغلون ولعمري لقد افرط
في ذلك حتى قال شعر

خشنت عليه اخت بني خشين ٭ وانجح فيك قول العاذلين
ونصب نفسه مسخرة حتى قال فيه مجان بغداد ان قليلا من النورة يذهب
هذه الخشونة ومثله قوله

ان من عق والديه لملعون ٭ ومن عق منزلا بالعقيق
وقوله وهو كما قيل من كلام المبرسمين
فاسلم سلمت من الآفات ما سلمت ٭ سلام سلمى ومهما اورق السلم
وكذلك ابو الطيب فان جناساته الحسنة معلومة وافراطه حتى انتهى
به الى قلقلة ظاهر لا يحتاج الى بيان ولا مثل الطباق الذي من
محاسنه قول ابي تمام

ونظري خبب الركاب ينصها ٭ محيي القريض الى مميت المال
ولا مثل المقابلة التي لم تعرف فيها مثل قول ابي الطيب
ازورهم وسواد الليل يشفع لي ٭ وانثني وبياض الصبح يغري بي
الى غير ذلك مما لا يعد ولا يحصى مما لها من محاسن النكات واما قوله
الا اذا جائت عفوا بلا تكلف فليس المراد منها ان ياتي من غير قصد فانه
لا يكون ح فضل للشاعر فيه لوقوعها من غير اختياره وايضا كيف يصح
ذلك مع ما وقع في الابيات من صنوف تلك النكات بل المراد ان لا يحتاج
الشاعر في استعمالها الى التعقيد المعنوي ودفع البديع الانسلاخ اللازم
كما هو صريح قوله وعرضت للاديب بلا تعسف وهو حق مع التفصيل
الذي بيناه سابقا واما قوله ولم تك هي المحط للانظار والمطلب الذي
عليه المدار فالمراد ما عرفت من لزوم التفنن في المحاسن وعدم الاقتصار
على فن واحد واما قوله وانا اذا رجعنا الى الوجدان وكشفنا الامر
بالامتحان وجدنا من انفسنا ومن له ادنى خبرة ان لنا على تلك الزخارف
تمام القدرة فالمراد منه ما عرفت من النكات التي لا يعبا بها واما غيرها
فان لم تعترف بالعجز فهو تعليم بعجزي عن نظم مثل قوله

يا درّ ثغر حسبي كن بالعقيق حِمىً له ولا تقصّ عليه المُجِدّ لك بتيماه

وعن قوله في مليح نشوان

ه والسكر في وجنته وطرفه ✤ يفتح ورداً ويغض نرجساً ه

الى غير ذلك مما لا يطيقه الاحصاء واما قوله ولكن في وسعنا

ان نضاهي الفحلين المبرزين وهما بالاصطلاح الذي اتفقنا عليه

ابو تمام وابو الطيب ببيت واحد او مثل شارد ولا اظن ان يكون المراد

بالبيت الواحد بيت البوقات والطبول لابي الطيب وبالمثل الشارد

مثل قول ابي تمام

ه وكل شئ له شئ يكون به ✤ فساده وفساد الكلب في السمن ه

بل المراد ما لهما من المحاسن في الامثال والابيات في غيرهما ولا اقرب معو في

ذلك عن ميادينهما ومبارات فرسان الحلبة كالوداعي والعفيفي وغيرهما

واما قوله ولست اقول ان محسنات البديع غير محسنة وفنونه غير مستحسنة

وان العلم النباتي لا يحقق بالنص ولا بد بحامله الثغر ولكن اقول ان

التشبيه ابلغ عند النبيه الفتاة تسود اذا كانت نظر وتزين اذا كانت

تتحنى وتتخلخل اذا كانت تقبل وتترطب وتقلد اذا كانت ذات جيد اجيد



وتكسى خير جلباب اذا لم يكن العار تحت الثياب وذات العوار

لا يصلحها ملح ولا سواد وعندي وللناس فيما يعشقون

مذاهب وملل بتفضيل المليحة العاطلة على القبيحة ذات الحلى والحلل

والمراد منها ما نبهناك عليه سابقا ورأى مولاي موفق انشاء

الناظر في رسالتي هذه ان ما اعتمدت الرد فيها الا على

طائفتين احديهما جرت على السنتنا تسميتهم باهل العمود

لمناسبة ظاهرة على الناظر فيها وقد عرفت انهم جهال ينكرون

فضل العلم ويجهلون قدره ويجحدون فضائل المتأخرين بالمرة

ويوحيون التأسي بالمتقدمين في كل ما خبث وطاب ويتبعون

خطاهم في كل خطاء وصواب وهذه الطائفة قد طاف عليها

طائف من ربك وهم نائمون في سنة الغفلة ولخذت من ربقاتهم

ماخذها قواطع البراهين والادلة واخرستها مواضع الفاظ

حفظوها من كتب البديع والهتهم عن ثمار الفوائد انوار الربيع

يدينون بما بين دفتيها من فاسد وصحيح ويقفون عند ظواهرها

وقوف الفقيه عند النص الصريح وكل منهما عار من ثياب الفضل

عار على ذوي الآداب بل لا يرضى ذو اللب ان يعدهما من ذوي

الالباب واما من سواهم من الحبتك على اختلاف مذاهبهم في
الكلام فاني اعرف لكل حقه واوليه من الثناء ما استحقه ولست
من ذوي الاراء الجامدة الذين يتعصبون لطريقة واحدة وفنون
الشعر عندي كالفواكه كل فيه لذة تترا وكالازهار كل له رائحة
ولكل محاسن مخصوصة به مقصورة عليه وقد تقدمت فيما سبق
الاشارة اليه نعم تختلف طباع الانام فيما يؤثر من تلك الاقسام
فيخص كل قوم بمزيد الرغبة ما يناسب ازمنتها وبلادها ويوافق
مقاصدها ومعتادها ومثل هذا الاختلاف موجود بين الناس
في سائر الاشياء فيختار كل قوم منهم قسما من المنازل والملابس
والماكل وهذا التخصيص حسن بمزيد الرغبة اليه لا بقصر الحسن عليه
وهذا معنى ما قدمته من اختلاف الطباع باختلاف الاعصار والامصار
وان سئلت عن مثل تلك الطرائق عندي فلي مذهب فردا عيش وحدي به
وبيانه لا ينفع الناظر ولا يجدي وبعد ما بينت له المحاسن وارشدته
اليها فليختر لنفسه ما يروق لها منها ويحلو لديها   ايها
المولى الاخ جامعة لمحاسن اللاحقين والسابقين تغل بها اعناق
المتحرفين والمتكلفين وانفذ لاعلام العلم وانفر لشبهات الجاهلين

وظني بك وبسائر من يقع اليه هذا الكتاب من اهل الفضل والاداب
حسن الصنيع فاني ما اردت بتبجانيما صنعت واصلاح ما فيه من
الفساد فاني ما اردت الا الاصلاح ما استطعت ورحم الله امرأ
لم على شعث لخاه او كف عنه اذاه واما من لبس لي جلد النمر وتقلب
من ضغائنه على جمر فاني احذره البغي فان البغي مصرعه وخيم ولا
الومه على ذلك فانه داء في الناس قديم والناس اشباه واشكال
ولا اخذه بذلك فنعم الاخذ المنتقم لله وليس له جواب عندي
سوى ابيات المقنع الكندي

وان الذي بيني وبين بني ابي   وبين بني عمي لمختلف جدا
فان اكلوا لحمي وفرت لحومهم   وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وان زجروا طيرا بنحس تمر بي   زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا
ولا احمل الحقد القديم عليهم   فليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وما كنت اقطع كفي بضرسي واقول قطعت بعضي وشفيت نفسي
بل اصل وان قطع واصحح الوداد وان منع ولا ابيع حظي منه وان
باع حظه مني وازداد ميلا اليه كلما ازداد ميلا عني واذا انعطفت
من الرحم الاواصر صغرت عندها كبائر الجرائر والله يغفر له ذلك

ولا لوم عليه ولا تثريب ولا اكدر صفو خاطره بالعذل و
التانيب

فان عهدي به والله يكلوه . وان اتى الذنب ممن يكره العذلا
بل اقول له ان سائني منك ذلك فقد سرني اني خطرت ببالك
ثم لما كانت القصيدة المخلعة هي الباعثة على تصنيف الرسالة و
الناظر فيها لابد ان تسموا نفسه اليها ويحب الاطلاع عليها
الحقناها بها وهي

قلبي لنزع الهوى تنفّر   شوقا الى خصره المزنّر
كنيسة تلك ام كناس   وغلمة ام قطيع جوذر
وكم بهم من مليك حسن   جار على الناس اذ تأمّر
له باجفانه جنود   تظفر بالفتح حين تكسر
واحرب القلب من صغير   على حزبيه تكبّر
يضحك من لوعتي وابكي   ينام عن ليلتي واسهر
وددت اني له وشاح   لو ان للمرء ما تخيّر
وشاحه كم هصرت غصنا   ما كان لولاك قط يهصر
اما ترى اذ يجول لعبا   ازاره الثابت الموقّر

جاران

جاران ردف له وخصر   ابخل هذا وذاك غوّر
كم ظاهر مضمر لوجدي   لظاهر منهما ومضمر
على متاسد غزال   ان سمته قبلة تنمّر
اني فقير اليه لكن   بقبلة قانع ومعترّ
ورب وعد بلثم خد   جاد به بعد ما تعذّر
سقاه ماء الشباب حتى   انبع نبت العذار واخضر
اليس من هام يا عذولي   بمثل هذا العذار يعذر
اخفيت في حبه غرامي   فالليل اخفى له واستر
عرفه لام عارضيه   على لم بعدها تنكر
بجنب خط العذار خال   كنقطة شكلت بعنبر
وقع لي خاله بحتفي   لما تلاحظه المزوّر
بعقلتيه يريد قتلي   يا رب يسّر ولا تعسّر
اخفيت وصف الحبيب دهرا   واليوم باسم الحبيب اجهر
هويت احوى اللثات المى   اهيف ساج الجفون احور
كالليث والظبي حين يسطو   وحين يعطو وحين ينظر
في وجهه جنتي وحور   جفونه والشفاه كوثر

بمرد قتلي بمقلتيه
يا رب سهل ولا تعسر





عناى منه ومن عذولي   يهجر هذا وذاك يهجر

يسئل عمن كلفت فيه   وهو به لو يشاء اخبر

هل ريقه الشهد قلت احلى   او وجهه البدر قلت انور

قال فذا الغصن قد حكاه   في حسن قد فقلت قصر

الغصن يهوي له خضوعًا   والظبي من اجله تعفر

صغره عاذلي ولما   شاهد ذاك الجمال كبر

لما راى صورة سبتني   صدق ما مثلها تصور

يا غصن بان ودعص رمل   وجيد ريم وطرف جوذر

خصرك هذا الضعيف يعيا   من حمله قامة وخنجر

مؤنث الطرف منك امضى   شباً من الصارم المذكر

فاتره لا يقاس حدا   ببارد للسيوف ابتر

اغمد شباه فاى قرم   من باس جفنيك ليس يذعر

يا شاهرا سيفه المحلى   جفنك بالفتك منه اشهر

لدولة الحسن نحن جند   وانت سلطانها المظفر

فانشر لواء الجعود فينا   تكسر كسرى بنا وقيصر

يا صاح سكر الشباب اثم   بالشيب من بعده يكفر

جرى كميت الشباب حتى   اثار في عارضي عثير

اقبل صبح المشيب نحوى   يسعى وعصر الشباب ادبر

من كاد غصن الشباب يذوى   بعرس فرع الكرام اثمر

عرس به الهم عاد يطوى   لا بل به الميت كاد ينشر

عرس فتى اظهر البرايا   في حسن منظر ومخبر

انهى الى عمه على   حديث مجد له ومفخر

وما روى للعلى على   اصح اخبارها واشهر

عن الرضا عن ابيه موسى   مسلسلا عن ابيه جعفر

ان حدثوا عن رواه صدقا   فعنه يروى وعنه يؤثر

يشتق فعل الجميل منه   وهو لفعل الجميل مصدر

ذو قلم ان جرى بامر   جرى على اللوح بالمقدر

عجبت من دقة برته   وحده بالسيوف اثر

ما كاد سر عليه يخفى   وسره لا يكاد يظهر

ان سال بالحبر فوق طرس   اراك في مشيه المحبر

ترى نظيم الجمان منه   على وجوه الطروس ينثر

حباه غاب حواه قد ما   صورة صل وباس قسور

كم حلّ اسر ونكّ ربقٍ	خطّ على رقّه وحرّر
مناقبٌ لا تكاد تحصى	وسؤدد لا يكاد يحصر
قرانه ما ختمتُ لكن	قرات منه الذي تيسّر
خذها ابا احمد فتاةً	جائت لفرط الحيا تعثّر
من قاصر مدحه عليكم	وان يكن في المديح قصّر
عقيلة اهديت لكفوٍ	لها بحسن القبول امهر
لديه القت قناعها عن	محاسن عن سواه تستر
فريدة في الجمال فاقت	الف قصيد لألف عنترّ
ما حاك بشارهم نظيرًا	وهو ابن برد لها وحيّر
كم خطبتها نفوس قومٍ	فكنت اولى بها واجدر

